

الرد على شبهات المتقاعسين

عن الجهاد والدعوة

جمعه وأعدّه

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

الطبعة الثانية

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

((حقوق الطبع لكل مسلم))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن
سار على دربه إلى يوم الدين

أما بعد :

فإن الشبهات التي يستند إليها كثير من الناس والتي تمنعهم من
الدعوة إلى الله أو الجهاد في سبيله كثيرة جداً... وتزداد هذه
الشبهات عندما يصبح إيمان الناس ضعيفاً خافتاً ن وتقل كثيراً
عندما بقوى إيمانهم بالله وبالיום الآخر

لقد فات هؤلاء الأجل والرزق بيد الله تعالى وحده ، وليس بيد
أحد سواه ...

وأن الإقدام في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله ، والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر لن يقرب الآجال ...

وأن الإحجام عن ذلك لن يبعد الأجل المحتوم أبداً .

قال تعالى ردّاً على المنافقين وضعاف النفوس : {قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ
الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦)
قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ

رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) {
[الأحزاب]

إِنَّ الْفِرَارَ مِنَ الْقِتَالِ لَنْ يَنْفَعَكُمْ وَلَنْ يَدْفَعَ عَنْكُمْ مَا قَضَاهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ مَوْتٍ أَوْ قَتْلِ، وَإِذَا نَفَعَكُمْ الْفِرَارُ فَلَمْ تُقَاتِلُوا فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ، فَإِنَّ بَقَاءَكُمْ فِي الدُّنْيَا مَحْدُودُ الْأَجْلِ، وَمَتَاعَكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ، وَسَيَأْتِي الْمَوْتُ فِي الْمَوْعِدِ الْمَحْدَدِ لَا يَتَأَخَّرُ وَلَا يَتَقَدَّمُ.

وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَ قَضَاءَ اللَّهِ مِنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ شَرًّا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّهُ عَنْكُمْ، وَلَا أَنْ يَحُولَ دُونَ وَقُوعِهِ بِكُمْ: وَإِنْ أَرَادَ بِكُمْ خَيْرًا وَرَحْمَةً، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَحُولَ دُونَ وَصُولِ ذَلِكَ إِلَيْكُمْ، فَلَا مَرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللَّهِ، يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ. وَلَنْ يَجِدَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ وَلِيًّا لَهُمْ غَيْرَ اللَّهِ، وَلَا نَاصِرًا يَدْفَعُ عَنْهُمْ مَا قَضَاهُ اللَّهُ، وَمَا قَدَرَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ وَبَلَاءٍ.^١

بل لعن الله تعالى بني إسرائيل على تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى : { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

^١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٤٣٠، بترقيم الشاملة آليا)

(٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) { [المائدة: ٧٨ - ٨١]

وفي هذه الرسالة كثير من هذه الشبهات مع الرد عليها باختصار .
وقد قسمتها لمبحثين :

المبحث الأول = بيان أن الموت والرزق بيد الله تعالى وحده

المبحث الثاني = أهم شبهات المتقاعسين والرد عليها

أسأل الله تعالى أن ينفع بها كاتبها وناشرها وقارئها والذال عليها .

الباحث في القرآن والسنة

وعضو الهيئة العامة للعلماء المسلمين بسورية

علي بن نايف الشحود

في ٢ شوال ١٤٣٣هـ الموافق ل ٢١/٨/٢٠١٢ م



المبحث الأول

بيان أن الموت والرزق بيد الله تعالى وحده

قال تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: ٣٤]

إنها حقيقة أساسية من حقائق هذه العقيدة، يوقع بها السياق على أوتار القلوب الغافلة - غير الذاكرة ولا الشاكرة - لتستيقظ، فلا يغرها امتداد الحياة! والأجل المضروب إما أجل كل جيل من الناس بالموت المعروف الذي يقطع الحياة. وإما أجل كل أمة من الأمم بمعنى الأمد المقدر لقوتها في الأرض واستخلافها .. وسواء هذا الأجل أو ذاك فإنه مرسوم لا يتقدمون عنه ولا يستأخرون.^٢

وقال تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [النحل: ٦١]

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ بِأَنَّهُ يَحْلُمُ عَلَى الْعَصَاةِ مِنَ الْبَشَرِ، مَعَ ظُلْمِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا يُعْجِلُ بِمُؤَاخَذَتِهِمْ بِأَفْعَالِهِمْ، وَبِمَا كَسَبُوا، وَلَوْ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لَأَهْلَكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، وَلَمْ يَتْرِكْ عَلَى

^٢ - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ١٧٤٠)

ظَهَرَهَا مَخْلُوقًا يَدِبُّ عَلَيْهَا. وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يَحْلُمُ عَلَى الْعُصَاةِ،
وَيَسْتُرُ عَلَيْهِمْ عُيُوبَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَلَا يُعَاجِلُهُم بِالْعُقُوبَةِ، وَإِنَّمَا
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى الْيَوْمِ الْمَحْدَدِ لَهُمْ، فَإِذَا جَاءَ الْأَجَلُ لَا يُمَهِّلُونَ لَحْظَةً
وَاحِدَةً.^٣

وقال تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا
مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا} [فاطر: ٤٥]

والله خلق هذا الخلق - البشري - وأنعم عليه بآلائه. وهو وحده
الذي يفسد في الأرض ويظلم، وينحرف عن الله ويشرك ويطغى
بعضه على بعض، ويؤذي سواه من الخلق .. والله بعد هذا كله
يحلم عليه ويرأف به، ويمهله وإن كان لا يمهله. فهي الحكمة
تصاحب القوة، وهي الرحمة تصاحب العدل. ولكن الناس يغترون
بالإمهال، فلا تستشعر قلوبهم رحمة الله وحكمته، حتى يأخذهم
عدله وقوته. عند الأجل المسمى الذي ضربه الله للحكمة، وأمهلهم
إليه لرحمة. «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا
يَسْتَقْدِمُونَ».^٤

^٣ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٩٦٢، بترقيم الشاملة آليا)

^٤ - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٢٨٤٠)

وقال تعالى : { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ } [آل عمران: ١٤٥]

لَا يَمُوتُ أَحَدٌ إِلَّا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَحَتَّى يَسْتَوْفِيَ الْمَدَّةَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ أَجَلًا (كِتَابًا مُؤَجَّلًا)، فَلَا يَتَقَدَّمُ عَنْهُ وَلَا يَتَأَخَّرُ. وَإِذَا كَانَ مَحْيَا الْإِنْسَانِ وَمَمَاتُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا مَحَلَّ لِلْخَوْفِ وَالْجُبْنِ، وَلَا عُذْرَ فِي الْوَهْنِ وَالضَّعْفِ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَشْجِيعٌ لِلْجُنَّاءِ عَلَى الْقِتَالِ. فَإِنَّ الْإِفْدَامَ وَالْإِحْجَامَ لَا يُنْقِصَانِ مِنْ عُمْرِ الْإِنْسَانِ، وَلَا يَزِيدَانِ فِيهِ. وَمَنْ كَانَ عَمَلُهُ لِلدُّنْيَا فَقَطْ نَالَ مِنْهَا مَا قَدَرَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ ثَوَابِهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ. وَمَنْ قَصَدَ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ ثَوَابِهَا، وَأَعْطَاهُ مَعَهَا مَا قَسَمَهُ لَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ نَصِيبٍ. وَاللَّهُ يَجْزِي الشَّاكِرِينَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَيَسْتَعْمِلُونَهَا فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. وَيُعْطِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِقْدَارِ شُكْرِهِمْ وَعَمَلِهِمْ^٥.

إن لكل نفس كتابا مؤجلا إلى أجل مرسوم. ولن تموت نفس حتى تستوفي هذا الأجل المرسوم. فالخوف والهلع، والحرص والتخلف،

^٥ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٣٨، بترقيم الشاملة آليا)

لا تطيل أجالاً. والشجاعة والثبات والإقدام والوفاء لا تقصر عمراً. فلا كان الجبن، ولا نامت أعين الجبناء. والأجل المكتوب لا ينقص منه يوم ولا يزيد! بذلك تستقر حقيقة الأجل في النفس، فتترك الاشتغال به، ولا تجعله في الحساب، وهي تفكر في الأداء والوفاء بالالتزامات والتكاليف الإيمانية. وبذلك تنطلق من عقول الشح والحرص، كما ترتفع على وهلة الخوف والفرح. وبذلك تستقيم على الطريق بكل تكاليفه وبكل التزاماته، في صبر وطمأنينة، وتوكل على الله الذي يملك الآجال وحده.

ثم ينتقل بالنفس خطوة وراء هذه القضية التي حسم فيها القول .. فإنه إذا كان العمر مكتوباً، والأجل مرسوماً .. فلتنظر نفس ما قدمت لغد ولتنظر نفس ماذا تريد .. أتريد أن تقعد عن تكاليف الإيمان، وأن تحصر همها كله في هذه الأرض، وأن تعيش لهذه الدنيا وحدها؟ أم تريد أن تتطلع إلى أفق أعلى، وإلى اهتمامات أرفع، وإلى حياة أكبر من هذه الحياة؟ .. مع تساوي هذا الهم وذلك فيما يختص بالعمر والحياة؟!

«وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا. وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا».

وشتان بين حياة وحياة! وشتان بين اهتمام واهتمام! - مع اتحاد النتيجة بالقياس إلى العمر والأجل - والذي يعيش لهذه الأرض وحدها، ويريد ثواب الدنيا وحدها .. إنما يحيا حياة الديدان والدواب والأنعام! ثم يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب. والذي يتطلع إلى الأفق الآخر .. إنما يحيا حياة «الإنسان» الذي كرمه الله واستخلفه وأفرده بهذا المكان ثم يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب والذي يتطلع إلى الأفق الآخر .. إنما يحيا حياة "الإنسان" الذي كرمه الله واستخلفه وأفرده بهذا المكان ثم يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا» ..

«وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ» .. الذين يدركون نعمة التكريم الإلهي للإنسان، فيرتفعون عن مدارج الحيوان ويشكرون الله على تلك النعمة، فينهضون بتبعات الإيمان ..

وهكذا يقرر القرآن حقيقة الموت والحياة، وحقيقة الغاية التي ينتهي إليها الأحياء، وفق ما يريدونه لأنفسهم، من اهتمام قريب كاهتمام الدود، أو اهتمام بعيد كاهتمام الإنسان! وبذلك ينقل النفس من الانشغال بالخوف من الموت والجزع من التكليف - وهي لا تملك شيئاً في شأن الموت والحياة - إلى الانشغال بما هو

أنفع للنفس، في الحقل الذي تملكه، وتملك فيه الاختيار. فتختار الدنيا أو تختار الآخرة. وتنال من جزاء الله ما تختار!^٦

وقال تعالى رداً على اليهود: { قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِن الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) } [الجمعة]

وهي لفظة من اللغات القرآنية الموحية للمخاطبين بها وغير المخاطبين. تقرر في الأخلاق حقيقة ينساها الناس، وهي تلاحقهم أينما كانوا .. فهذه الحياة إلى انتهاء. والبعد عن الله فيها ينتهي للرجعة إليه، فلا ملجأ منه إلا إليه. والحساب والجزاء بعد الرجعة كائنان لا محالة. فلا مهرب ولا فكاك.^٧

وحق الذين ينكصون على أعقابهم ويتركون الجهاد في سبيل الله تعالى سوف يأتيهم أجلهم المقدر لا محالة ، قال تعالى : { وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ

^٦ - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط ١ - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٧٩٠)

^٧ - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط ١ - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٤٤٦٠)

مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا
قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى
مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ { [آل عمران: ١٥٤]

هناك فريق من الناس أذهلهم الخوف حتى صاروا مشغولين عن
كل ما سواهم إذ الوثوق بوعد الله، ووعد رسوله، لم يصل إلى
قرارة نفوسهم، لأنهم كانوا غير مؤمنين حقاً، فعظم الخوف
عليهم، حتى ظنوا بالله غير الظن الحق، إذ كانوا يقولون في
أنفسهم: لو كان محمد نبياً حقاً لما نصر الله الكفار عليه، وهذا
مقال لا يقوله إلا أهل الشرك. وكان بعضهم يقول لبعض على
سبيل الإنكار: هل لنا من النصر والفتح والظفر نصيب؟ {هل لنا
من الأمر من شيء؟} ، وهم يعنون أنه ليس لهم من ذلك شيء،
وكان ما حدث في ذلك اليوم دليلاً، في نظرهم، على أن دين
محمد ﷺ ليس بحق. ويرد الله تعالى عليهم قائلاً: إن كل ما
يجري هو بقدر الله، وبحسب سننه في الخليقة ولذلك فلا أمر
لأحد غير الله.

ثم يكشف تعالى عن خبيثة نفوس هؤلاء فيقول: إنهم يخفون في
أنفسهم ما لا يبذلون لك، فنفسهم مملأ بالوساوس والهواجس،

وَالْأَعْرَاضَاتِ، وَيَقُولُونَ لَوْ كَانَ أَمْرُ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِأَيْدِينَا كَمَا
ادَّعَى مُحَمَّدٌ: (وَهُوَ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ وَلِأَوْلِيَائِهِ وَأَنَّهُمْ هُمُ الْعَالِبُونَ)
لَمَا غُلِبْنَا، وَلَمَا قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ قُتِلَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ، فَهُمْ
يَظُنُّونَ أَنَّ خِطَّةَ الْقِيَادَةِ هِيَ الَّتِي أَوْصَلَتْهُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ.
وَيَقُولُ تَعَالَى مُصَحِّحاً قَوْلَ هَؤُلَاءِ وَاعْتِقَادَهُمْ، قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ:
إِنَّ قَدَرَ اللَّهِ سَيَقَعُ لَا مَحَالَةَ، وَلَوْ كَانَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ
مَوْجُودِينَ فِي يُبُوتِهِمْ لَخَرَجُوا، دُونَ دَعْوَةِ مَنْ أَحَدٌ إِلَى حَيْثُ قُدِّرَ
لَهُمْ أَنْ يُقْتُلُوا، لَيُقْتُلُوا. فَهَنَّاكَ أَجَلٌ مَكْتُوبٌ لَا يَسْتَقْدِمُ وَلَا
يَسْتَأْخِرُ، وَجَعَلَ اللَّهُ الْأَمْرَ كُلَّهُ ابْتِلَاءً مِنْهُ، وَاخْتِبَاراً لِمَا فِي صُدُورِ
الْمُؤْمِنِينَ وَقُلُوبِهِمْ، وَتَمَحِيصاً لِمَا فِي نُفُوسِهِمْ وَتَطْهِيراً. وَلَيْسَ
كَالْحَقِّ كَاشِفٌ لِلنُّفُوسِ وَالْحَقَائِقِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ،
وَبِالْأَسْرَارِ الْخَفِيَّةِ.^٨

وهو الهاجس الذي يجيش في النفوس التي لم تخلص للعقيدة، حينما
تصطدم في موقعة بالهزيمة، وحينما تعاني آلام الهزيمة! حين ترى
الثمن أفذح مما كانت تظن وأن الثمرة أشد مرارة مما كانت تتوقع
وحين تفتش في ضمائرها فلا ترى الأمر واضحاً ولا مستقراً وحين
تتخيل أن تصرف القيادة هو الذي ألقى بها في هذه المهلكة،

^٨ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٤٧، بترقيم الشاملة آليا)

وكانت في نجوة من الأمر لو كان أمرها في يدها! وهي لا يمكن -
بهذا الغبش في التصور - أن ترى يد الله وراء الأحداث، ولا
حكيمته في الابتلاء. إنما المسألة كلها - في اعتبارها - خسارة في
خسارة! وضياح في ضياح! هنا يجيئهم التصحيح العميق للأمر
كله. لأمر الحياة والموت. ولأمر الحكمة الكامنة وراء الابتلاء:
«قُلْ: لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى
مَضَاجِعِهِمْ. وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ، وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي
قُلُوبِكُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» ..

قل لو كنتم في بيوتكم ولم تخرجوا للمعركة تلبية لنداء القيادة،
وكان أمركم كله لتقديركم .. لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى
مضاجعهم .. إن هنالك أجلا مكتوبا لا يستقدم ولا يستأخر. وإن
هنالك مضجعا مقسوما لا بد أن يجيء إليه صاحبه فيضجع فيه!
فإذا حم الأجل، سعى صاحبه بقدميه إليه، وجاء إلى مضجعه
برجليه، لا يسوقه أحد إلى أجله المرسوم، ولا يدفعه أحد إلى
مضجعه المقسوم! ويا للتعبير العجيب .. «إِلَى مَضَاجِعِهِمْ» .. فهو
مضجع إذن ذلك الرمس الذي تستريح فيه الجنوب، وتسكن فيه
الخطي، وينتهي إليه الضاربون في الأرض .. مضجع يأتون إليه
بدافع خفي لا يدركونه ولا يملكونه، إنما هو يدركهم ويملكهم

ويتصرف في أمرهم كما يشاء. والاستسلام له أروح للقلب،
وأهدأ للنفس، وأريح للضمير! إنه قدر الله. ووراء حكمته:
«وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ، وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ»..
فليس كاخنة محك يكشف ما في الصدور، ويصهر ما في القلوب،
فينفي عنها الزيف والرياء، ويكشفها على حقيقتها بلا طلاء..
فهو الابتلاء والاختيار لما في الصدور، ليظهر على حقيقته، وهو
التطهير والتصفية للقلوب، فلا يبقى فيها دخل ولا زيف. وهو
التصحيح والتجلية للتصور فلا يبقى فيه غبش ولا خلل: «وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

وذات الصدور هي الأسرار الخفية الملازمة للصدور، المختبئة فيها،
المصاحبة لها، التي لا تبارحها ولا تتكشف في النور! والله عليم
بذات الصدور هذه. ولكنه - سبحانه - يريد أن يكشفها للناس،
ويكشفها لأصحابها أنفسهم، فقد لا يعلمونها من أنفسهم، حتى
تنفضها الأحداث وتكشفها لهم!^٩

وهناك أحاديث كثيرة بهذا الخصوص...

عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ حَنْطَبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا تَرَكْتُ شَيْئًا
مِمَّا أَمَرَكُم بِهِ اللَّهُ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَمَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا نَهَاكُم

^٩ - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٨٠١)

اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ قَدْ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ^{١٠} وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَأَنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرِكُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ"^{١١}

وَعَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبِي بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: لَهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدَّثَنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَابَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أَحَدِ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ»، قَالَ: ثُمَّ

^{١٠} - شعب الإيمان (٢/ ٤٠٦) (١١٤١) صحيح لغيره

^{١١} - شعب الإيمان (١٣/ ١٩) (٩٨٩١) صحيح لغيره

أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ
بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ^{١٢}

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ، احْفَظِ اللَّهَ
يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفِ بِاللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ
فِي الشَّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ
يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلَائِقَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يُعْطُوكَ شَيْئًا
لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ أَوْ يَصْرِفُوا عَنْكَ شَيْئًا أَرَادَ
أَنْ يُصِيبَكَ بِهِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، فَإِذَا سَأَلْتَ فَسَلِ اللَّهَ، وَإِذَا
اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ
الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَلَمَ قَدْ جَرَى بِمَا هُوَ
كَائِنٌ»^{١٣}

وَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ،
وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لِيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، ثُمَّ يَدْعُو
خِيَارَكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»^{١٤}

^{١٢} - سنن أبي داود (٢٢٥/٤) (٤٦٩٩) صحيح

^{١٣} - المعجم الكبير للطبراني (١٢٣/١١) (١١٢٤٣) صحيح

^{١٤} - المعجم الأوسط (٩٩/٢) (١٣٧٩) صحيح لغيره

وَقَالَ أَبُو الرُّقَادِ : خَرَجْتُ مَعَ مَوْلَايَ وَأَنَا غُلَامٌ، فَدَفَعْتُ إِلَى حَدِيثَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَصِيرُ بِهَا مُنَافِقًا، وَإِنِّي لَأَسْمَعُهَا مِنْ أَحَدِكُمْ فِي الْمَقْعَدِ الْوَاحِدِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَحْضُنَّ عَلَى الْخَيْرِ، أَوْ لَيَسْحَبَنَّ اللَّهُ جَمِيعًا بِعَذَابٍ، أَوْ لَيَأْمُرَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ، ثُمَّ يَدْعُو خِيَارَكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ^{١٥}

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ هَذِهِ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة: ١٠٥]، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا فَلَمْ يُعَيِّرُوهُ، يُوشِكُ أَنْ يَعْصِيَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ»^{١٦}.

(وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ هَذِهِ آيَةَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة: ١٠٥] أَي: الزُّمُوا حِفْظَ أَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَعَاصِي، فَإِذَا حَفِظْتُمْ أَنْفُسَكُمْ لَمْ يَضُرَّكُمْ إِذَا عَجَزْتُمْ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، ضَلَالٌ مَنْ ضَلَّ

^{١٥} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٧٩) ومسند أحمد (عالم الكتب) (٧/

(٧١١)(٢٣٣١٢) ٢٣٧٠١ حسن لغيره

^{١٦} - شرح السنة للبغوي (١٤/ ٣٤٤)(٤١٥٣) صحيح

بَارْتِكَابِ الْمَنَاهِي إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اجْتِنَابِهَا (فَإِنِّي) : قَالَ الطَّبِيبُ:
 الْفَاءُ فَصِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى مَحْذُوفٍ كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ
 الْآيَةَ وَتَجْرُونَ عَلَى عُمُومِهَا، وَتَمْتَنِعُونَ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
 وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنِّي (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -
 ﷺ - يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ) أَيُّ: مَعَ الْقُدْرَةِ
 عَلَى إِنْكَارِهِ (يُوشِكُ أَنْ يَعْصِيَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ) : قَالَ الطَّبِيبُ رَحِمَهُ
 اللَّهُ: وَإِنَّمَا قُلْتُ لَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَقْوَامٍ أَمَرُوا
 بِالْمَعْرُوفِ وَنُهِوا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَأَبَوْا الْقَبُولَ كُلِّ الْإِبَاءِ، فَذَهَبَتْ
 أَنْفُسُ الْمُؤْمِنِينَ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ، فَقِيلَ لَهُ: عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ وَمَا كُفَّتُمْ
 مِنْ إِصْلَاحِهَا، وَالْمَشْيَ بِهَا فِي طُرُقِ الْهُدَى، لَا يَضُرُّكُمْ الضَّلَالُ
 فِي دِينِكُمْ إِذَا كُنْتُمْ مُهْتَدِينَ، وَيَشْهَدُ لَذَلِكَ مَا قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ.
 {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ} [النساء:
 ٦١] وَهَذَا تَخْصِيصٌ بِحَسَبِ الْأَشْخَاصِ، وَأَمَّا بِحَسَبِ الزَّمَانِ
 فَيَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ الْآتِي لِأَبِي ثَعْلَبَةَ، فَإِنَّ الْعَامَّ قَدْ يَخُصُّ مَرَّةً
 أُخْرَى اهـ.

لَا يَخْفَى أَنَّهُ غَيْرُ صَحِيحِ الْمَبْنَى وَصَرِيحِ الْمَعْنَى مِنْ وَجْهَيْنِ. أَمَّا
 أَوَّلًا فَقَوْلُهُ: نَزَلَتْ الْآيَةُ فِي قَوْمٍ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ فَأَبَوْا كُلَّ الْإِبَاءِ،
 فَلَا يُعْرِفُ لَهُ أَصْلٌ أَصْلًا، بَلْ وَلَا يُتَصَوَّرُ لَهُ وُجُودٌ أَبَدًا، لِأَنَّ مَنْ

الْمَعْلُومُ أَنَّهُ لَا يُؤْمَرُ بِالْمَعْرُوفِ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنَّهُمْ يَأْبُونَ
 كُلَّ الْإِبَاءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّ قَوْمًا ارْتَدُّوا بِسَبَبِ هَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَصِحَّ
 قَوْلُهُ: فَذَهَبَتْ أَنْفُسُ الْمُؤْمِنِينَ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ إِلَخْ. وَأَمَّا ثَانِيًا فَقَوْلُهُ:
 وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا قَبْلَ هَذِهِ آيَةِ. لَا تَعْلُقَ لَهُ بِيَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
 وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مُطْلَقًا، بَلِ الْمَطْلُوبُ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ إِلَى الرَّسُولِ، وَيَتَرَكُوا تَقْلِيدَ آبَائِهِمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ وَإِبَائِهِمْ،
 فَأَصْرَحُوا عَلَى بُطْلَانِهِمْ، وَقَالُوا: حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا فَقَالَ
 تَعَالَى: {أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} [البقرة:
 ١٧٠] نَعَمْ وَرَدَّ مَا يَنَاسِبُ بَيْنَ اقْتِرَانِ الْآيَتَيْنِ عَلَى مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ
 أَبِي حَاتِمٍ: أَنَّهُ إِنَّمَا أَنْزِلَتْ هَذِهِ آيَةُ ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يُسَلِّمُ
 وَيَكْفُرُ أَبَوْهُ، وَيُسَلِّمُ الرَّجُلُ وَيَكْفُرُ أَخُوهُ، فَلَمَّا دَخَلَ قُلُوبُهُمْ حِلَاوَةٌ
 الْإِيمَانِ دَعَوْا آبَاءَهُمْ وَإِخْوَانَهُمْ فَقَالُوا: حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا،
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ} [المائدة: ١٠٥]
 الْآيَةِ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْبَيْضاوي، وَالْآيَةُ نَزَلَتْ لَمَّا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ
 يَتَحَسَّرُونَ عَلَى الْكُفْرَةِ وَيَتَمَنُّونَ إِيْمَانَهُمْ، وَفِي تَفْسِيرِ الْمُعِينِ
 الصَّفْوِيِّ: فِي هَذِهِ آيَةِ رُخْصَةٍ فِي تَرْكِ الْحَسْبَةِ إِذَا عَلِمَ عَدَمُ
 قَبُولِهَا، أَوْ فِيهَا مَفْسَدَةٌ، أَوْ إِضْرَارٌ لَهُ مِنْهَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ
 السَّلَفِ عَلَى ذَلِكَ، وَالْأَحَادِيثُ تُدُلُّ عَلَيْهِ، أَوْ مَعْنَى إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِذَا

اَتَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَمَرْتُمْ بِهِ، وَانْتَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَنَهَيْتُمْ عَنْهُ، كَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ. وَرَوَى عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، فَإِنَّ الْإِهْتِدَاءَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِإِثْنَيْنِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ الْمُرَادُ الْمَنْعُ عَنْ إِهْلَاكِ النَّفْسِ أَسْفًا عَلَى مَا عَلَيْهِ الْكُفْرَةُ وَالْفِسْقَةُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ} [فاطر: ٨] وَقَالَ التَّوَوِيُّ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة: ١٠٥] الْآيَةُ. فَلَيْسَتْ مُخَالَفَةً لَوُجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، لِأَنَّ الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ مَا كُفِّتُمْ بِهِ فَلَا يَضُرُّكُمْ تَقْصِيرُ غَيْرِكُمْ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الأنعام: ١٦٤] فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمِمَّا كُفِّ بِهِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ إِذَا فَعَلَهُ، وَلَمْ يَمْتَثِلِ الْمُخَاطَبُ فَلَا عَتَبَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ لِكَوْنِهِ أَدَّى مَا عَلَيْهِ. (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ: إِذَا رَأَوْا) أَيِ: النَّاسُ (الظَّالِمَ) أَيِ: الْفَاسِقَ (فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ) أَيِ: لَمْ يَمْنَعُوهُ عَنْ ظُلْمِهِ (أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ) أَيِ: بَنَوْعٍ مِنَ الْعَذَابِ، فَإِنَّ أَشَدَّ الْحِجَابِ (وَفِي أُخْرَى لَهُ) أَيِ: لِأَبِي دَاوُدَ (مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ) : بِصِبْغَةِ الْمَجْهُولِ، وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ هُوَ النَّائِبُ، أَوْ التَّقْدِيرُ يَعْمَلُ أَحَدٌ فَمَا بَيْنَهُمْ

(بِالْمَعَاصِي، ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُعَيِّرُوا، ثُمَّ لَا يُعَيِّرُونَ إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ " . وَفِي أُخْرَى لَهُ: " مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ) : هُمْ صِفَةُ قَوْمٍ أَيْ: إِذَا كَانَ الَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ الْمَعَاصِي أَكْثَرَ مِنَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَهَا، فَلَمْ يَمْنَعُوهُمْ عَنْهَا عَمَّهُمُ الْعَذَابُ.

قَالَ الطَّبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يُزَادُ بَعْدَهُ، ثُمَّ لَا يُعَيِّرُونَ إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ وَهُمْ صِفَةُ قَوْمٍ. قُلْتُ: هَذِهِ التَّقَادِيرُ مُسْتَفَادَةٌ مِمَّا قَبْلَهُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ اخْتِلَافَ الرَّوَايَةِ فِي صَدْرِ الْحَدِيثِ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: «لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيَسْتَعْمِلَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ، فَلَيَسُوْمَنَّكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، ثُمَّ لَيَدْعَنَّ اللَّهُ حَيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ» . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: خَافَ الصَّدِيقُ أَنْ يَتَأَوَّلَ النَّاسُ الْآيَةَ غَيْرَ تَأْوِيلِهَا، فَيَدْعُوهُمْ إِلَى تَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ، وَأَنَّ الَّذِي أُذِنَ فِي الْإِمْسَاكِ عَنْ تَغْيِيرِهِ مِنَ الْمُنْكَرِ هُوَ الشَّرُّ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ الْمُعَاهِدُونَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ يَتَدَيَّنُونَ بِهِ وَقَدْ صُولِحُوا عَلَيْهِ، فَأَمَّا الْفُسُوقُ وَالْعَصْيَانُ وَالرَّيْبُ مِنَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَلَا يَدْخُلُ فِيهِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الْآيَةُ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، يَعْنِي عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَخُذُوا مِنْهُمْ الْجَزِيَّةَ

وَأَثَرُكُوهُمْ. وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ
وَأَنْهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ مَا قُبِلَ مِنْكُمْ، فَإِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ فَعَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ.
ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ مِنْهُ أَيْ: قَدْ مَضَى تَأْوِيلُهُنَّ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ،
وَمِنْهُ أَيْ: وَقَعَ تَأْوِيلُهُنَّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَمِنْهُ أَيْ:
وَقَعَ تَأْوِيلُهُنَّ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَيْرٍ،
وَمِنْهُ أَيْ: وَيَقَعُ تَأْوِيلُهُنَّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَمِنْهُ أَيْ: يَقَعُ تَأْوِيلُهُنَّ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ مَا ذَكَرَ مِنَ الْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَمَا دَامَتْ
قُلُوبُكُمْ وَأَهْوَاؤُكُمْ وَاحِدَةً، وَلَمْ تُلْبَسُوا شَيْعًا، وَلَمْ يَذُقْ بَعْضُكُمْ
بَأْسَ بَعْضٍ فَأَمُرُوا وَأَنْهَوْا، فَإِذَا اخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ وَالْأَهْوَاءُ وَالْبِسْتُمْ
شَيْعًا، وَذَاقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَأَمُرُوا وَنَفْسُهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ جَاءَ
تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ اهـ. وَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَا فِي حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ
الْآتِي.^{١٧}

وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،
يَقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي،
يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُعَيِّرُوا عَلَيْهِ وَلَا يُعَيِّرُوا، إِلَّا أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ
قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا».^{١٨}

^{١٧} - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢١٢)

^{١٨} - صحيح ابن حبان - مخرجا (١/ ٥٣٧) (٣٠٢) صحيح

(عَلَى أَنْ يُعَيِّرُوا عَلَيْهِمْ) أَي: عَلَى الرَّجُلِ بِالْيَدِ أَوْ اللِّسَانِ، فَإِنَّهُ لَا
مَنْعَ مِنْ إِنْكَارِ الْجَنَانِ (وَلَا يُعَيِّرُونَ إِلَّا أَصَابَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ) أَي: مَنْ
عِنْدَهُ تَعَالَى (بِعِقَابٍ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا) : قَالَ الطَّبِيبُ رَحِمَهُ اللَّهُ:
الضَّمِيرُ الْمَجْرُورُ إِمَّا عَائِدٌ إِلَى الرَّجُلِ أَوْ إِلَى عَدَمِ التَّعْيِيرِ، وَتَكُونُ
" مِنْ " ابْتِدَائِيَّةً أَي: بِسَبَبِ شُؤْمِهِ، وَأَنْ يَعُودَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَي:
عَذَابًا مِنْ عِنْدِهِ، وَهَذَا أَتْلُغُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ
عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ} [مریم: ٤٥] ١٩



١٩ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨ / ٣٢١٤)

المبحث الثاني

أهم شبهات المتقاعسين والرد عليها

للقاعدين المتقاعسين عن طرق الخير أعذار كثيرة تختلف باختلاف الأفراد والبلدان والأحوال ومن أبرزها:

١ - التعلُّ بكبر السن:

كأن يقول أحدهم: كبر سني ورق عظمي ويكفي ما قدمت، ويتصور هذا الأخ أن الدعوة يعترئها التقاعد والإحالة على المعاش! أما علم أن القافلة سارية ونهايتها الجنة، فإن تقاعد عنها فلا يلتفت إليه، وأنه ليس سنٌ محددةٌ للعمل الصالح.

قال تعالى: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} قال الحسن البصري: لم يجعل الله للعبد أجلاً في العمل الصالح دون الموت.

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: فَقَالَ لَهُ وَرَقَةَ: هَذَا التَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَتُصْرِكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةَ أَنْ

تُؤْفِي^{٢٠} مع كبر سنه وذهاب بصره، وقد تمنى أن يكون فيها
جذعاً قوياً فيكون نفعه أكبر وأثره أكثر.

وعن أنس، أن أبا طلحة الأنصاري، قرأ سورة براءة فلما أتى على
هذه الآية {انفروا خفافاً وثقالاً} [التوبة: ٤١] قال: أرى ربنا عزَّ
وجلَّ سيسْتَنْفِرُنَا شُيُوخًا وَشَبَّانًا جَهَّزُونِي أَيُّ بَنِي فَقَالَ بَنُوهُ:
يَرْحَمُكَ اللَّهُ قَدْ غَزَوْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى مَاتَ وَمَعَ أَبِي
بَكْرٍ حَتَّى مَاتَ وَمَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَنَحْنُ نَعْزُو عَنْكَ، فَأَبَى
فَجَهَّزُوهُ فَرَكَبَ الْبَحْرَ فَمَاتَ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ جَزِيرَةً يَدْفِنُوهُ فِيهَا إِلَّا
بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ فَلَمْ يَتَغَيَّرْ فَدَفَنُوهُ فِيهَا^{٢١}.

قال الإمام الشافعي: طلب الراحة في الدنيا لا يصلح لأهل
المروءات، فإن أحدهم لم يزل تعبانا في كل زمان.

وعن أبي الفيض ذي الثنون المصري قال: إن لله لصفوة من خلقه،
وإن لله لخيرة من خلقه قيل له: يا أبا الفيض فما علامتهم؟ قال:
إذا خلَعَ العبدُ الرَّاحَةَ وَأَعْطَى الْمَجْهُودَ فِي الطَّاعَةِ وَأَحَبَّ سُقُوطَ
الْمَنْزِلَةِ، قيل له: يا أبا الفيض فما علامة إقبال الله عزَّ وجلَّ على
العبد؟ قال: إذا رَأَيْتُهُ صَابِرًا شَاكِرًا ذَاكِرًا فَذَلِكَ عِلَامَةُ إِقْبَالِ اللَّهِ

^{٢٠} - صحيح البخاري (١/٧) (٣) وصحيح مسلم (١/١٣٩) ٢٥٢ - (١٦٠)

^{٢١} - الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٠٣) (١٤٠٦) صحيح

عَلَى الْعَبْدِ، قِيلَ: فَمَا عَلَامَةُ إِعْرَاضِ اللَّهِ عَنِ الْعَبْدِ قَالَ: إِذَا رَأَيْتَهُ سَاهِيًا رَاهِبًا مُعْرِضًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَذَلِكَ حِينَ يَعْرِضُ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: وَيَحْكُ كَفَى بِالْمُعْرِضِ عَنِ اللَّهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْ ذِكْرِهِ، قِيلَ لَهُ يَا أَبَا الْفَيْضِ فَمَا عَلَامَةُ الْإِنْسِ بِاللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا رَأَيْتَهُ يُؤْنِسُكَ بِخَلْقِهِ فَإِنَّهُ يُوحِشُكَ مِنْ نَفْسِهِ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يُوحِشُكَ مِنْ خَلْقِهِ فَإِنَّهُ يُؤْنِسُكَ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ أَبُو الْفَيْضِ: الدُّنْيَا وَالْخَلْقُ لِلَّهِ عَبِيدٌ، خَلَقَهُمْ لِلطَّاعَةِ وَضَمِنَ لَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ وَنَهَاهُمْ وَحَدَّرَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ، فَحَرَّصُوا عَلَى مَا نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ وَطَلَبُوا الْأَرْزَاقَ وَقَدْ ضَمَنَهَا اللَّهُ لَهُمْ، فَلَا هُمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ اسْتِزَادُوا، ثُمَّ قَالَ: عَجَبًا لِقُلُوبِكُمْ كَيْفَ لَا تَتَصَدَّعُ وَلِأَجْسَامِكُمْ كَيْفَ لَا تَتَضَعُّعُ، إِذَا كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَتَعْقِلُونَ^{٢٢}.

قيل للإمام أحمد: متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال: عند أول قدم يضعها في الجنة.

ونظرة في سير الأنبياء نجد أنهم لم يبعثوا إلا بعد الأربعين، وما زالوا في دعوتهم حتى الموت، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه طعن ورأى الموت، ومع ذلك لم ينقطع عن العمل بل إنه ليواصل عمله في صالح المسلمين وجرحهُ يثعبُ دماً، فقد اختار مجلس الشورى

^{٢٢} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٣٤٣)

من توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وجاءه ذلك الشاب لزيارته فأنكر عليه ما رأى من الإسبال.

وعن أبي الطفيل، قال: سُئِلَ حُذَيْفَةُ: مَا مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ؟ قَالَ: "لَا يُنْكِرُ الْمُنْكَرَ بِيَدِهِ، وَلَا يَلْسَانَهُ وَلَا بَقْلَبِهِ" ^{٢٣}.

٢ - البعضُ ينشغلُ في طلب الرزق

ويذهبُ جلَّ وقته فيه ويتعللُ بقلّة ذات اليد وحاجة الأولاد. ونسي أن رزقه مكفولٌ له، وأن طلبَ الرزق لم يمنع الصحابة والتابعين وسلف الأمة من الدعوة والمساهمة في طرق الخير والإصلاح.

عن عمر بن الخطاب، صاحب له قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ شَيْئًا يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ عَنِ النَّارِ إِلَّا قَدْ بَيَّنَّتهُ لَكُمْ، وَإِنْ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهَا لَا تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ أَقْصَى رِزْقِهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَحْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ رِزْقِهِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرِكُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ» ^{٢٤}.

^{٢٣} - شعب الإيمان (١٠ / ٧٢) (٧١٨٤) حسن

^{٢٤} - جامع معمر بن راشد (١١ / ١٢٥) (٢٠١٠٠) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء

(١٠ / ٢٧) وشرح السنة للبغوي (١٤ / ٣٠٤) (٤١١٢) وموسوعة السنة النبوية -

علي بن نايف الشحود (٥ / ١٠٧) (٥٧١١) صحيح لغيره

قال ابن القيم: جمع النبي ﷺ في قوله: فاتقوا الله وأجملوا في الطلب بين مصالح الدنيا والآخرة ونعيمها ولذاتها، إن ما ينال بتقوى الله وراحة القلب والبدن وترك الاهتمام والحرص الشديد والتعب والعناء، والكد والشقاء في طلب الدنيا، إنما ينال بالإجمال في الطلب، فمن اتقى الله فاز بلذة الآخرة ونعيمها، ومن أجمَلَ في الطلب استراح من نكد الدنيا وهمومها، فالله المستعان.

قد نادى الدنيا على نفسها لو كان في ذا الخلق من يسمع
كم واثق بالعيش أهلكه وجامعٍ فرقت ما

يجمع^{٢٥}

وقال ابن القيم: قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده وهذا كما أنه في الذوات والأعيان فكذلك هو في الاعتقادات والإرادات فإذا كان القلب ممتلئاً بالباطل اعتقاداً ومحبة لم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبة موضع كما أن اللسان إذا اشتغل بالتكلم بما لا ينفع لم يتمكن صاحبه من التطق بما ينفعه إلا إذا فرغ لسانه من التطق بالباطل وكذلك الجوارح إذا اشتغلت بغير الطاعة لم يمكن شغلها بالطاعة إلا إذا فرغها من ضدها فكذلك القلب المشغول بمحبة غير الله وإرادته والشوق إليه والأنس به إلا

^{٢٥} - الفوائد لابن القيم (ص: ٥٩)

يُمكن شغله بمحبة الله واردة وحبه والشوق إلى لقائه لا بتفريغه من تعلقه بغيره ولا حركة اللسان بذكره والجوارح بخدمته إلا إذا فرغها من ذكر غيره وخدمته فإذا امتلأ القلب بالشغل بالمخلوق والعلوم التي لا تنفع لم يبق فيها موضع للشغل بالله ومعرفة أسمائه وصفاته وأحكامه وسر ذلك أن إصغاء القلب كإصغاء الأذن فإذا صغى إلى غير حديث الله لم يبق فيه إصغاء وكأفهم لحديثه كما إذا مال إلى غير محبة الله لم يبق فيه ميل إلى محبته فإذا نطق القلب بغير ذكره لم يبق فيه محل للنطق بذكره كاللسان ولهذا في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لأن يمتلي جوف أحدكم قيثا خير له من أن يمتلي شعرا»^{٢٦}

فبين أن الجوف يمتلي بالشعر فكذلك يمتلي بالشبه والشكوك والخيالات والتقدير التي لا وجود لها والعلوم التي لا تنفع والمفاكهات والمضحكات والحكايات ونحوها وإذا امتلأ القلب بذلك جاءته حقائق القرآن والعلم الذي به كماله وسعادته فلم

^{٢٦} - صحيح البخاري (٨/ ٣٧) (٦١٥٤)

[ش (جوف) المراد القلب. (قيثا) هو الصديد الذي يسيل من الدم والجرح أو هو الأبيض الخائر الذي لا يخالطه دم. (يمتلي شعرا) هو كناية عن انشغاله بقول الشعر وروايته وإنشاده بحيث لا يتفرغ لسواه]

تَجِدُ فِيهِ فَرَاغًا لَهَا وَلَا قَبُولًا فَتَعُدُّهُ وَجَاوِزَتَهُ إِلَى مَحَلِّ سِوَاهُ كَمَا
 إِذَا بَذَلْتَ النَّصِيحَةَ لِقَلْبِ مَلَأَنٍ مِنْ ضِدِّهَا لَا مَنَفْعَ لَهَا فِيهِ فَإِنَّهُ فِيهِ
 لَا يَقْبَلُهَا وَلَا تَلْجُ فِيهِ لَكِنْ تَمُرُّ بِمُجْتَازَةٍ لَا مُسْتَوْتِنَةَ وَلِذَلِكَ قِيلَ
 نَزَّهَ فُؤَادُكَ مِنْ سِوَانَا تَلَقَّنَا ... فَجَنَابُنَا حُلَّ لِكُلِّ مَرَّةٍ
 وَالصَّبْرُ طَلَسَمٌ لِكَثْرَةِ وَصَالِنَا ... مِنْ حُلِّ ذَا الطَّلَسَمِ فَازَرَ بِكَتْرِهِ
 وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ^{٢٧}

قال عبد الله: حدثني أبي حدثنا سيار حدثنا جعفر قال: سمعت
 مالكا يقول: بقدر ما تحزن للعالم كذا كذا يخرج هم الآخرة من
 قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة كذا كذا يخرج هم الدنيا من قلبك.
 وقال تعالى: { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ
 لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ
 ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ
 الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ
 مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨) } [النور]

٣ - الانشغال بالوظيفة:

فيذهب زهرة وقته فيها، ويعتذر بأنه لا يستطيع أن يشارك في
 خير ما دام عمله هكذا، أو يجبر وظيفته ويحسبها في إطار الدعوة

^{٢٧} - الفوائد لابن القيم (ص: ٢٩)

ويجَادِعُ نَفْسَهُ بِذَلِكَ، وَهُوَ لَا يَقْدَمُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا
النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْوُضُفِيَّةَ مِنْ وَسَائِلِ الدَّعْوَةِ إِنْ
اسْتَغْلَاهَا وَوُضِفَهَا فِي ذَلِكَ، عَنْ عَوْنٍ، قَالَ: "كَانَ الْفُقَهَاءُ يَتَوَاصَوْنَ
بَيْنَهُمْ بِثَلَاثٍ، وَيَكْتُبُ بِذَلِكَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ: مَنْ عَمِلَ لِأَخْرَجِهِ
كَفَاهُ اللَّهُ دُنْيَاهُ، وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ، وَمَنْ أَصْلَحَ
مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ" ٢٨.

وَعَنْ ذِي النُّونِ قَالَ: كَانَ الْعُلَمَاءُ يَتَوَاعِظُونَ بِثَلَاثٍ، وَيَكْتُبُ
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ: مَنْ أَحْسَنَ سَرِيرَتَهُ، أَحْسَنَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ، وَمَنْ
أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَا أَصْلَحَ
أَمْرَ آخِرَتِهِ، أَصْلَحَ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ. ٢٩

قُلْتُ لِأَحَدِ الْأَطْبَاءِ مِنَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بَعِيَادَاتِهِمْ إِلَى السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ
عَصْرًا: مَاذَا قَدِمْتَ لَدِينِكَ؟ هَلْ قُلْتَ يَوْمًا لِمَرِيضٍ: هَلْ أَنْتَ
تُؤَدِّي الصَّلَاةَ؟ ذَكَرْتَهُ بِمَعَاصِيهِ الظَّاهِرَةِ؟ هَلْ تَحَافِظُ عَلَى الْأُورَادِ؟
مِنَ الشَّافِي الْمَعَايِي؟ إِنَّهُ اللَّهُ. كَيْفَ تَطْلُبُ الشِّفَاءَ مِمَّنْ تَبَارِزُهُ
بِالْمَعَاصِي؟.

٢٨ - الزهد لهناد بن السري (١/ ٣٠٠) (٥٢٨) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/

٢٤٧) صحيح

٢٩ - سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٤/ ١٦٨)

فكأن هذا الأخ الطبيب انتبه من غفلة، وما تصور أنه بإمكانه أن يخدم دينه ويساهم في الخير بهذه البساطة.

٤ - يقول البعض بأنه فاته القطار، وتجددت الوسائل وتغير الزمان، وأصبح لا يحسن العمل في هذه الظروف!

وهذا لضعف الشعور بالمسؤولية، وتبلد الإحساس، وتحمّد الحماس. عَنْ جَعْفَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ، يَقُولُ: «إِنَّ صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ تَعْلِي بِأَعْمَالِ الْبِرِّ، وَإِنَّ صُدُورَ الْفُجَّارِ تَعْلِي بِأَعْمَالِ الْفُجُورِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَرَى هُمُومَكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ»^{٣٠}. ولو كان قلب هذا يغلي أو فيه هم للآخرة لعرف كيف يخدم دينه.

٥ - إفساح المجال للآخرين:

هذه يتعلل بها كثير من المتقاعسين وكأن المجال فيه ازدحام، حتى أصبح هو عقبة في طرق الخير، وليت هذا الأخ أفسح المجال للآخرين في طلب الرزق والوظيفة والتي عليها قطارات من الناس ينتظرون وظيفته تشغرها!

قال تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}، وقال سبحانه: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}

^{٣٠} - الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٦٢) (١٨٨٦) صحيح

أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}، وقال سبحانه في وصف المؤمنين: {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}.

وكان عمر رضي الله عنه يحاول جاهداً مسابقة أبي بكر رضي الله عنه في الخير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فَمَجْمُوعُ أُمَّتِهِ تَقُومُ مَقَامَهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ؛ وَلِهَذَا كَانَ إِجْمَاعُهُمْ حُجَّةً قَاطِعَةً فَأَمَّتُهُ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ وَإِذَا تَنَازَعُوا فِي شَيْءٍ رَدُّوا مَا تَنَازَعُوا فِيهِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأُمَّةِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ مِنَ الدَّعْوَةِ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ فَمَا قَامَ بِهِ غَيْرُهُ سَقَطَ عَنْهُ وَمَا عَجَزَ لَمْ يُطَالَبْ بِهِ. وَأَمَّا مَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ؛ وَلِهَذَا يَجِبُ عَلَى هَذَا أَنْ يَقُومَ بِمَا لَا يَجِبُ عَلَى هَذَا وَقَدْ تَقَسَّطَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى الْأُمَّةِ بِحَسَبِ ذَلِكَ تَارَةً وَبِحَسَبِ غَيْرِهِ أُخْرَى؛ فَقَدْ يَدْعُو هَذَا إِلَى اعْتِقَادِ الْوَاجِبِ وَهَذَا إِلَى عَمَلِ ظَاهِرٍ وَاجِبٍ وَهَذَا إِلَى عَمَلِ بَاطِنٍ وَاجِبٍ؛ فَتَنَوُّعُ الدَّعْوَةِ يَكُونُ فِي الْوُجُوبِ تَارَةً وَفِي الْوُقُوعِ أُخْرَى. وَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ تَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ؛ لَكِنَّهَا فَرَضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ وَإِنَّمَا يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ الْمُعَيَّنِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ وَهَذَا

شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ ما جاء به الرسول
والجهاد في سبيل الله وتعليم الإيمان والقرآن..
وقد تبين بذلك أن الدعوة نفسها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر
فإن الداعي طالب مستدع مقتض لما دعي إليه وذلك هو الأمر
به؛ إذ الأمر هو طلب للفعل المأمور به واستدعاء له ودعاء إليه
فالدعاء إلى الله الدعاء إلى سبيله فهو أمر بسبيله وسبيله تصديقه
فيما أخبر وطاعته فيما أمر. وقد تبين أنهما واجبان على كل فرد
من أفراد المسلمين وجوب فرض الكفاية لا وجوب فرض الأعيان
كالصلوات الخمس بل كوجوب الجهاد.^{٣١}

٦ - التعذر بعدم البرامج والخطط، وإلقاء اللوم على العلماء
والمشايخ في ذلك وينتظر منهم كل شيء.

ولا يفكر أن يضع برنامجاً أو خطة في محيط الصغير الذي يعيشه
في حيه أو موقع وظيفته، فيجلس ينتظر البرنامج بزعمه، بينما لو
أراد أن يبني بيتاً لعمل لذلك خططاً تجريبية لا تحصى، وقد قيل:
الجالسون الخاملون لا تنتظر منهم أفكاراً جديدة في تطوير
الأساليب والوسائل الدعوية، ومن ظن ذلك فقد اعتمد على
الأوهام والأحلام، إن الذي لا يعيش هم الدعوة وينام ويستيقظ

^{٣١} - مجموع الفتاوى (١٥ / ١٦٥)

عليها محال أن ترد عليه أفكارٌ في تطويرها والرفع من شأنها :
ليست الشكلى كالمستأجرة.

٧ - الانشغال بنقد الآخرين

بأن هذا لا يحسن أن يلقي درساً، وذاك لا يعرف أن يكتب
مقالاً، وفلان لا يصلح أن يشرف على عمل... الخ.
وَدَخَلَ الْحَسَنُ الْمَسْجِدَ وَمَعَهُ فَرْقَدٌ فَقَعَدَ إِلَى جَنْبِ حَلْقَةٍ
يَتَكَلَّمُونَ فَنَصَّتْ لِحَدِيثِهِمْ قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى فَرْقَدٍ فَقَالَ: يَا فَرْقَدُ،
وَاللَّهِ مَا هَؤُلَاءِ إِلَّا قَوْمٌ مَلُّوا الْعِبَادَةَ وَوَجَدُوا الْكَلَامَ أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنَ
الْعَمَلِ وَقَلَّ وَرَعُهُمْ فَتَكَلَّمُوا " ٣٢
قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ قَلِيلًا وَيَعْمَلُ كَثِيرًا، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ
يَقُولُ كَثِيرًا وَيَعْمَلُ قَلِيلًا ٣٣.

وَعَنْ رُوْبَةَ بْنِ الْعَجَّاجِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّسَّابَةَ الْبَكْرِيَّ فَقَالَ لِي: «مَنْ
أَنْتَ؟» قُلْتُ: رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ قَالَ: «قَصَّرْتَ وَعَرَفْتَ فَمَا جَاءَ
بِكَ؟» قُلْتُ: طَلَبُ الْعِلْمِ قَالَ: «لَعَلَّكَ مِنْ قَوْمٍ أَنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ إِنْ
سَكَتُ لَمْ يَسْأَلُونِي وَإِنْ تَكَلَّمْتُ لَمْ يَعُوا عَنِّي» قُلْتُ: أَرْجُو أَلَّا
أَكُونَ مِنْهُمْ، قَالَ: «أَتَدْرِي مَا آفَةُ الْمُرُوءَةِ؟» قُلْتُ: لَا، فَأَخْبَرَنِي

٣٢ - الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٢٠) (١٥٤٦)

٣٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ١٤٢)

قَالَ: " جِيرَانُ السُّوءِ إِنْ رَأَوْا حَسَنًا دَفَنُوهُ، وَإِنْ رَأَوْا سَيِّئًا أَذَاعُوهُ
ثُمَّ قَالَ لِي: يَا رُؤُوبَةُ، إِنَّ لِلْعِلْمِ آفَةً وَهَجَنَةً وَنَكَدًا، فَأَقْتَنُهِ نَسِيَانَهُ
وَهَجَنَتَهُ أَنْ تَضَعَهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ وَأَنْكَدَهُ الْكَذِبُ فِيهِ " ٣٤.

قال ابن زنجي البغدادي:

يمشون في الناس يبعون العيوبَ لمن لا عيب فيه، لكي
يستشرفَ العطبُ

إن يعلموا الخيرَ يخفوه، وإن علموا
شرا أذاعوا وإن لم
يعلموا كذبوا.

ومن أعراض هذا المرض أيضاً: التهويلُ والمبالغةُ، واستعمال العدسة
المكبرة للتفتيش عن صغائر الغير.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: عَجِبْتُ مِنْ الرَّجُلِ يَفِرُّ مِنَ الْقَدَرِ وَهُوَ
مُوَاقِعُهُ، وَيَرَى الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَيَدْعُ الْجَذْعَ فِي عَيْنِهِ،
وَيُخْرِجُ الضَّعْنَ مِنْ نَفْسِ أَخِيهِ وَيَدْعُ الضَّعْنَ فِي نَفْسِهِ، وَمَا
وَضَعْتُ سَرِّي عِنْدَ أَحَدٍ فَلَمْتُهُ عَلَى إِفْسَائِهِ، وَكَيْفَ أَلَوْمُهُ وَقَدْ
ضَقْتُ بِهِ ذَرْعًا؟ ٣٥.

وتعذر نفسك إذا ما أسأت وغيرك بالعذر لا تعذر

٣٤ - جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٤٩) (٧٠٢)

٣٥ - الأدب المفرد مخرجا (ص: ٣٠٥) (٨٨٦) صحيح

وتبصر في العين منه القذى وفي عينك الجذع لا تبصر
وكيف ترى في عين صاحبك القذى ويخفى قذى عينيك
وهو عظيم

٨ - إبراز الشخصيات المتقاعسة وتعليل النفس بهم، وأنه ليس
الوحيد في هذا المجال.

ونسي هذا الأخ بأنه يدفن وحده ويبعث يوم القيامة وحده
وسيقف بين يدي الله وحده، فيومئذ: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ
مَعَذِرَتُهُمْ} نسي هذا أنه في مضمار مسابقة. وقد لام الله تعالى
القاعدين فقال سبحانه: {رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع
على قلوبهم}.

قال إبراهيم الحربي عن الإمام أحمد: ولقد صحبته عشرين سنة
صيفاً وشتاءً وحرّاً وبرداً وليلاً ونهاراً، فما لقيت في يوم إلا وهو
زائد عليه بالأمس.

وقال حماد بن سلمة: " مَا أَتَيْنَا سُلَيْمَانَ التَّيْمِيَّ فِي سَاعَةٍ يُطَاعُ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا إِلَّا وَجَدْنَاهُ مُطِيعًا، إِنْ كَانَ فِي سَاعَةِ صَلَاةٍ
وَجَدْنَاهُ مُصَلِّيًّا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ سَاعَةُ صَلَاةٍ وَجَدْنَاهُ إِمَّا مُتَوَضِّئًا، أَوْ

عَائِدًا مَرِيضًا، أَوْ مُشِيْعًا لِحَنَازَةٍ، أَوْ قَاعِدًا فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَكُنَّا نَرَى أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يَعْصِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ" ٣٦.

وَزَعَمَ جَرِيرٌ أَنَّ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيَّ لَمْ تَمُرَّ سَاعَةٌ قَطُّ إِلَّا تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قَرَأَ {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا} [المؤمنون: ٥١] ٣٧.

٩ - الحساسية المرفقة من النقد أو اللوم

فالبعض لا يريد أن يلام أو يحاسب، أو ينتقد، فإذا واجه ذلك تأثر وانقطع عن العمل، إما بالشعور بالإحباط بأنه لا يحسن، أو أنه وصل إلى مقام لا ينبغي أن ينتقد، أو أن مثل فلان كيف يوجهه وينتقده.

وَأَيْنَ هَذَا مِنْ عَمَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَهْدَى إِلَيْنَا عَيْوَبَنَا!.

وهذا عمر بن عبد العزيز — الخليفة الراشد، التابعي العالم، الزاهد التقى، الإمام القرشي — انظروا ما ورد عنه، وَعَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ؛ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِمُزَاحِمٍ مَوْلَاهُ: إِنَّ الْوَلَاةَ جَعَلُوا الْعُيُونَ عَلَى الْعَوَامِّ، وَأَنَا أَجْعَلُكَ عَيْنًا عَلَى نَفْسِي؛ فَإِنْ

٣٦ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٨ / ٣)

٣٧ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٨ / ٣)

سَمِعَتْ مِنِّي كَلِمَةً تَرُبُّ بِبِي عَنْهَا أَوْ فَعَلًا لَا تُحِبُّهُ؛ فَعِظَنِي عِنْدَهُ
وَبَهَّنِي عَلَيْهِ^{٣٨}

وَعَنْ بِلَالِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: «بَلَّغْنِي أَنَّ الْمُسْلِمَ، مَرَأَةً أَحَبَّ إِلَيْهِ فَهَلْ
تَسْتَرِيبُ مِنْ أَمْرِي شَيْئًا»^{٣٩}

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ: قَالَ لِي مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: يَا جَعْفَرُ، قُلْ لِي
فِي وَجْهِ مَا أَكْرَهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَنْصَحُ أَخَاهُ حَتَّى يَقُولَ لَهُ فِي
وَجْهِهِ مَا يَكْرَهُ^{٤٠}.

قال بعض السلف: من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العلماء،
ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذ ربما زل، والعقل
الفرد ربما ضل^{٤١}.

١٠ - قد يتساقط أناس بسبب أنه لا يذكر عملهم أو ينوه به
أو يمدون عليه

وكان عملهم للناس، كأن يقول: ليس هنا أحد يقدر الجهود أو
ينظر في النتائج، أو يحترم العاملين، وما عندنا أحد يترنل الناس
منازلهم!!

^{٣٨} - المجالسة وجواهر العلم (٣/ ٦٢) (٦٧٢)

^{٣٩} - الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٣١٢) (٢٢٧٠)

^{٤٠} - سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥/ ٧٥) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٨٦)

^{٤١} - لباب الآداب لأسامة بن منقذ (١/ ٦٠)

وصدق الربيع بن خيثم رحمه الله حيث قال: مَا لَمْ يُرَدِّ بِهِ وَجْهُ
اللَّهِ يَضْمَحِلُّ^{٤٢}..

وقال ابن الجوزي: والصدق في الطلب منارٌ أين وجد يدلُّ على
الجمادة وإنما يتعثر من لم يخلص^{٤٣}.

وقال الجيلاني: يا غلام: فقه اللسان بلا عمل القلب لا يخطيك إلى
الحق خطوة، السير سير القلب.

قال تعالى: { إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا
شُكُورًا }

عَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَتَيْتَ
الْمَدِينَةَ، فَإِنْ قَضَى اللَّهُ مَوْتًا، دُفِنْتَ فِي مَوْضِعِ الْقَبْرِ الرَّابِعِ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْ يُعَذِّبَنِي اللَّهُ بِغَيْرِ النَّارِ، أَحَبُّ إِلَيَّ
مِنْ أَنْ يَعْلَمَ مِنْ قَلْبِي أَنِّي أُرَانِي لِذَلِكَ أَهْلًا^{٤٤}.

١١ - تفريغ الطاقة في التناسخ

بأن يناجي شخصاً بأن شيخه ليس مؤهلاً، أو ليس عنده برامح
تواكب التطور، أو لا جديد عنده، فإذا وافقه صاحبه على ذلك
انتقل إلى آخر فيحدثه بمثل ذلك الحديث.

^{٤٢} - مصنف ابن أبي شيبة - دار القبلة (١٩ / ٤٦٨) (٣٦٧٢٧)

^{٤٣} - صيد الخاطر (ص: ١١٩، بترقيم الشاملة آليا)

^{٤٤} - سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥ / ١٤١)

وليس عنده بدائل يطرحها ولا برامج يقترحها، وإنما حملة الحسد أو السامة من العمل، أو حبُّ الرياسة والظهور، أو لا يريد أن ينقطع عن القافلة وحده.

قال السري السقطي البغدادي: ما رأيت شيئاً أحبط للأعمال، ولا أفسد للقلوب، ولا أسرع في هلاك العبد، ولا أدوم للأحزان، ولا أقرب للمقت، ولا ألزم لمحبة الرياء والعجب والرياسة من قلة معرفة العبد لنفسه، ونظره في عيوب الناس.

وتنافر القلوب لا يتعدى الأسباب التالية: فلتة لسان، أو هفوة لم تغتفر، أو ظن متوهم.

قال ابن القيم رحمه الله: من قواعد الشرع، والحكمة أيضاً، أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل منه ما لا يحتمل لغيره، وعفى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل، فإنه لا يحتمل أدنى خبث^{٤٥}.

ومن هذا قول النبي ﷺ لعمر: " مَا يُدْرِيكَ، لَعَلَّ اللَّهَ اِطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ "^{٤٦}، وهذا هو المانع له ﷺ من

^{٤٥} - موسوعة فقه القلوب (٧ / ١٧٧) ومفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١ / ١٧٦)

^{٤٦} - صحيح البخاري (٤ / ٧٦) وصحيح مسلم (٤ / ١٩٤١) - (٢٤٩٤)

قتل من جسّ عليه وعلى المسلمين وارتكب مثل ذلك الذنب العظيم، فأخبر ﷺ أنه شهد بداراً، فدل على أن مقتضى عقوبته قائم، لكن منع من ترتب أثره عليه ما له من المشهد العظيم، فوفقت تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ما له من الحسنات، ولما حض النبي ﷺ على الصدقة فأخرج عثمان رضي الله عنه تلك الصدقة العظيمة قال له ما قال ، فعن عبد الرحمن بن سمرّة، قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهّز جيش العسرة فنثرها في حجره. قال عبد الرحمن: فرأيت النبي ﷺ يقلّبها في حجره ويقول: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين»^{٤٧}، وعن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ مُصْعِدِينَ فِي أَحَدٍ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ظَهْرِهِ لِيَنْهَضَ عَلَى صَخْرَةٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَبَرَكَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ تَحْتَهُ، فَصَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ظَهْرِهِ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الصَّخْرَةِ، قَالَ الزُّبَيْرُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ»، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَتَى الْمَهْرَاسَ، وَأَتَاهُ بِمَاءٍ فِي دَرَقَتِهِ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ فَوَجَدَ لَهُ رِجًا فَعَافَهُ، فَعَسَلَ بِهِ الدَّمَ الَّذِي فِي

^{٤٧} - سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٦٢٦) (٣٧٠١) حسن

وَجْهَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ دَمَى وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^{٤٨}.....

وما الناس إلا من مسيء ومحسنٍ وكم من مسيء قد تلافى فأحسننا
من الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط
من ذا الذي ترضا سجايه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معانيه

١٢ - التنقل في الأعمال الخيرية على هيئة المذواق

كلُّ يوم في عمل، وله كل يوم منهجٌ وطريقة، يمدح ذاك العملَ حيناً، ثم ينتقل إلى غيره مقدماً الجديدَ عليه حيناً آخر، وفي الأخير يسقط لأنه لا يرضيه شيءٌ وقد جرب كلَّ ميدان! ولو أخذ ما يناسبه والأفضل في حقه لنال خيراً كثيراً، قال ابن القيم: وهاهنا أمرٌ ينبغي التفطنُ له: وهو أنه قد يكون العملُ المعينُ أفضلَ منه في حق غيره، فالغني الذي بلغ له مالٌ كثيرٌ ونفسه لا تسمحُ ببذل شيءٍ منه فصدقته وإيثاره أفضلُ له من قيام الليل وصيام النهار نافلة، والشجاع الشديد الذي يهاب العدو سطوته: وقوفه في الصف ساعة، وجهاده أعداء الله أفضلُ من الحج والصوم والصدقة والتطوع.

^{٤٨} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٤٣٦ / ١٥) (٦٩٧٩) صحيح

والعالم الذي قد عرف السنة، والحلال والحرام، وطرق الخير والشر: مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح وولي الأمر الذي قد نصبه الله للحكم بين عباده: جلوسه ساعة للنظر في المظالم وإنصاف المظلوم من الظالم وإقامة الحدود ونصر الحق وقمع المبطل أفضل من عبادة سنين من غيره، ومن غلبت عليه شهوة النساء فصومه له أنفع وأفضل من ذكر غيره وصدقته. وهذا مثال من السلف الصالح يوضح تفاوت الطاقات والقدرات: وعن بكر بن عبد الله قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَعْلَمِ رَجُلٍ أَدْرَكَنَاهُ فِي زَمَانِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْحَسَنِ فَمَا أَدْرَكَنَا أَعْلَمَ مِنْهُ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَوْرَعِ رَجُلٍ أَدْرَكَنَاهُ فِي زَمَانِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى ابْنِ سِيرِينَ إِنَّهُ لَيَدْعُ بَعْضَ الْحَلَالِ تَأْتُمًا، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَعْبَدِ رَجُلٍ أَدْرَكَنَاهُ فِي زَمَانِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ فَمَا أَدْرَكَنَا الَّذِي هُوَ أَعْبَدُ مِنْهُ تَرَاهُ فِي يَوْمٍ إِنَّهُ لَيَظِلُّ الْيَوْمَ الْمَعْمَعَانِيَّ الطَّوِيلَ مَا بَيْنَ طَرْفَيْهِ صَائِمًا يَرُوحُ مَا بَيْنَ جَبْهَتِهِ وَقَدَمِهِ وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَحْفَظِ رَجُلٍ أَدْرَكَنَاهُ فِي زَمَانِهِ وَأَجْدَرَ أَنْ يُؤَدِّيَ الْحَدِيثَ كَمَا سَمِعَهُ فَلْيَنْظُرْ إِلَى قَتَادَةَ»^{٤٩}.

^{٤٩} - الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٥٠) (١٧٨٧) حسن

١٣ - التنقل بين الشيوخ أو الجماعات أو الأفكار

قال عمر بن عبد العزيز: ومن جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل فيملُّ فيترك الخير كله^{٥٠}، أو يصابُ بشكوك واضطراب في آرائه وأفكاره وتوجهاته، فيصبح يشك في كل من حوله. فالثباتُ على منهج سليم فيما يعود على الإنسان من خيري الدنيا والآخرة يقي الإنسان من التردد والتغير والتنقل والحيرة. فإذا علمت أنك على الحقِّ وتمسكُ بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ومتبعٌ لمنهج السلف الصالح فلا يضريك مخالفةٌ غيرك، ولا يضعفك عن مسيرك فتنةٌ، ولا يوقفك عنه ابتلاء.

١٤ - الخوف والهلع من المخلوقين

فتتحول مراقبته وخوفه ورجاؤه إلى الخلق، ويوسوس له الشيطان في كلِّ عمل أو حركةٍ بأنه مؤاخذٌ به ومؤدبٌ عليه، فيترك كثيراً من الأعمال الصالحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فتتطبعُ نفسه على ذلك، حتى لا يتمعر وجهه في ذات الله أبداً!! قال تعالى: { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ } [آل عمران: ١٧٥]

^{٥٠} - إحياء علوم الدين (٣/ ١١٧)

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الَّذِي يُخَوِّفُكُمْ مِنْ
أَوْلِيَائِهِ الْمَشْرِكِينَ، وَيُوهِمُكُمْ أَنَّكُمْ ذَوُو بَأْسٍ وَقُوَّةٍ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ
لَكُمْ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَلَا تَخَافُوا أَوْلِيَاءَ
الشَّيْطَانِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ، وَالْجُؤُوا إِلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا،
فَإِنَّهُ كَافٍكُمْ بِإِيَّاهُمْ، وَنَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ. وَخَافُوهُ هُوَ فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى
النَّصْرِ وَعَلَى الْخُذْلَانِ، وَعَلَى الضَّرِّ وَالنَّفْعِ.^{٥١}

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله -: التحقيق بمعنى قوله (إني عبدك)
: التزام عبوديته من الذل والخضوع والإنابة، وامتنال أمر سيده
واجتناب نهيه ودوام الافتقار إليه، واللجوء إليه والاستعانة به،
والتوكل عليه، وعباد العبد به ولياذه به، وأن لا يتعلق قلبه بغيره
محبة وخوفا ورجاء. وفيه أيضا: أنني عبد من جميع الوجوه: صغيرا
وكبيرا، حيا وميتا مطيعا وعاصيا، معافي ومبتلى، بالروح والقلب
واللسان والجوارح، وفيه أيضا: أن مالي ونفسي ملك لك؛ فإن
العبد وما يملك لسيده. وفيه أيضا: أنك أنت الذي مننت عليّ
بكل ما أنا فيه من نعمة فذلك كله من إنعامك على عبدك. وفيه
أيضا: أنني لا أتصرف فيما حوّلني من مالي ونفسي إلّا بأمرك،
كما لا يتصرف العبد إلّا بإذن سيده، وإني لا أملك لنفسي ضرا

^{٥١} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٦٨، بترقيم الشاملة آليا)

ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فإن صحَّ له شهود ذلك
فقد قال: إني عبدك حقيقة.

ثم قال: ناصيتي بيدك، أي أنت المتصرف في تصرفني كيف تشاء،
لست أنا المتصرف في نفسي.

وكيف يكون له في نفسه تصرف من نفسه بيد ربِّه وسيِّده،
وناصيته بيده، وقلبه بين أصبعين من أصابعه، وموته وحياته
وسعادته وشقاوته وعافيته وبلاؤه كلّه إليه سبحانه ليس إلى العبد
منه شيء، بل هو في قبضة سيِّده أضعف من مملوك ضعيف حقير،
ناصيته بيد سلطان قاهر مالك له، تحت تصرفه وقهره، بل الأمر
فوق ذلك.

ومتى شهد العبد أن ناصيته ونواصي العباد كلّها بيد الله وحده
يصرفهم كيف يشاء، لم يخفهم بعد ذلك، ولم يرجهم، ولم يترهم
متزلة المالكين بل متزلة عبيد مقهورين مربوبين، المتصرف فيهم
سواهم والمدبّر لهم غيرهم، فمن شهد نفسه بهذا المشهد صار فقره
وضرورته إلى ربِّه وصفا لازماً له، ومتى شهد التّاس كذلك لم

يفتقر إليهم ولم يعلّق أمله ورجاءه بهم فاستقام توحيده وتوكله
وعبوديته .^{٥٢}

إن من غفلتك عن نفسك، وإعراضك عن الله، أن ترى ما يسخطُ
الله فتجاوزته، ولا تأمر فيه ولا تنهى عنه، خوفاً ممن لا يملك لنفسه
ضراً ولا نفعاً.

قالوا السعادةُ في السكون وفي الخمول وفي الجمود
في العيش بين الأهل لا عيشُ المهاجر والطريد
في المشي خلف الركب في دعة وفي خطو وئيد
في أن تقول كما يقال فلا اعتراض ولا ردود
قلت: الحياةُ هي التحركُ لا السكون ولا

الهمود

وهي التلذذ بالمتا عب لا التلذذُ

بالرقود

هي أن تذود عن الحياض وأي حر لا يذود؟
هي أن تحسَّ بأن كأسَ الذل من ماء صديد
١٥ - ضعفُ الصلة بالله تعالى:

^{٥٢} - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٧/ ٢٧٤٣) والفوائد لابن القيم

(ص: ٢٢)

فَيَقْلُ نَصِيئَهُ مِنْ نَوَافِلِ الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ، فَإِذَا قَلَّ زَادَهُ
وَانْتَهَى وَقُودُهُ تَعَطَّلَ مِنَ الْعَمَلِ، وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنْ
أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى تَرْبِيَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى التَّزَوُّدِ مِنَ الطَّاعَاتِ.

قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: رَأَيْتُ الْأَوْزَاعِيَّ يَثْبُتُ فِي مُصَلَّاهُ، يَذْكُرُ اللَّهَ،
حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَيُخْبِرُنَا عَنِ السَّلَفِ: أَنَّ ذَلِكَ كَانَ هَدْيَهُمْ،
فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ، قَامَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَأَفَاضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ،
وَالْتَفَقُوا فِي دِينِهِ. ^{٥٣}.

وَعَنْ ضَمْرَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، يَقُولُ: " حَجَجْنَا مَعَ الْأَوْزَاعِيَّ سَنَةَ خَمْسِينَ
وَمِائَةً، فَمَا رَأَيْنَاهُ مُضْطَجِعًا عَلَى الْمَحْمَلِ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ قَطُّ،
وَكَانَ يُصَلِّي فَإِذَا غَلَبَهُ النَّوْمُ اسْتَنَدَ إِلَى الْقَتَبِ " ^{٥٤}.

قَالَ بَشْرُ بْنُ الْمُنْذِرِ - قَاضِي الْمَصِيصَةِ -: رَأَيْتُ الْأَوْزَاعِيَّ كَأَنَّهُ
أَعْمَى مِنَ الْخُشُوعِ. ^{٥٥}.

وَقَالَ أَبُو مُسْهَرٍ: مَا رُئِيَ الْأَوْزَاعِيُّ بَاكِيًا قَطُّ، وَلَا ضَاحِكًا حَتَّى
تَبْدُو نَوَاجِذُهُ، وَإِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ أحيانًا - كَمَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ -
وَكَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ صَلَاةً، وَقُرْآنًا، وَبُكَاءً. وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ إِخْوَانِي

^{٥٣} - سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١١٤ / ٧)

^{٥٤} - شعب الإيمان (٥٣٦ / ٤) (٢٩٦٧)

^{٥٥} - سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٢٦ / ٧)

مِنْ أَهْلِ بَيْرُوتَ: أَنَّ أُمَّهُ كَانَتْ تَدْخُلُ مَنْزِلَ الْأَوْزَاعِيِّ، وَتَتَقَدُّ
مَوْضِعَ مُصَلَّاهُ، فَتَجِدُهُ رَطْبًا مِنْ دُمُوعِهِ فِي اللَّيْلِ.^{٥٦}

قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ: قَالَ ابْنُ الْمُنَكِّدِرِ: إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي اللَّيْلِ،
فِيَهْوِلُنِي، فَأُصْبِحُ حِينَ أُصْبِحُ وَمَا قَضَيْتُ مِنْهُ أَرْبِي.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ: رَأَيْتُ ابْنَ الْمُنَكِّدِرِ يُصَلِّي فِي مُقَدِّمِ الْمَسْجِدِ،
فَإِذَا انْصَرَفَ، مَشَى قَلِيلًا، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَمَدَّ يَدَيْهِ، وَدَعَا، ثُمَّ
يَنْحَرِفُ عَنِ الْقِبْلَةِ، وَيُشْهَرُ يَدَيْهِ، وَيَدْعُو، يَفْعَلُ ذَلِكَ حِينَ يَخْرُجُ
فَعَلَ الْمُوَدَّعُ.^{٥٧}

وَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: كَانَ عَطَاءٌ بَعْدَ مَا كَبِرَ وَضَعْفَ يَقُومُ إِلَى
الصَّلَاةِ فَيَقْرَأُ مَائَتِي آيَةٍ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَهُوَ قَائِمٌ، لَا يَزُولُ مِنْهُ
شَيْءٌ وَلَا يَتَحَرَّكُ^{٥٨}.

عن نسير بن ذعلوق قال: كان الربيع بن خيثم يبكي حتى ييل
لحيته من دموعه فيقول: أدركنا قومًا كنا في جنوبهم لصوصاً.

١٦ - الزواج وكثيراً ما يقع لمن تأخر عن الزواج أو من يعدد
بعد زوجة تؤذيه، فينشغل بلذة الشهوة عن الدعوة.

^{٥٦} - سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١١٩ / ٧)

^{٥٧} - سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣٥٨ / ٥)

^{٥٨} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣١٠ / ٣)

وَقَالَ جَعْفَرٌ: سَمِعْتُ مَالِكًا، يَقُولُ: «يَنْطَلِقُ أَحَدُهُمْ فَيَتَزَوَّجُ دِيْبَاحَةَ الْحَرَمِ» وَكَانَ يُقَالُ فِي زَمَانِ مَالِكٍ: دِيْبَاحَةُ الْحَرَمِ أَجْمَلُ النَّاسِ وَخَاتُونُ ابْنَةِ مَلِكِ الرُّومِ أَوْ يَنْطَلِقُ إِلَى جَارِيَةٍ قَدْ سَمَّيْنَهَا أَبُوهَا وَيَزِفُوهَا حَتَّى كَانَتْهَا زُبْدَةٌ فَيَتَزَوَّجُهَا فَتَأْخُذُ بِقَلْبِهِ فَيَقُولُ لَهَا: أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدِينَ فَيَقُولُ: كَذَا وَكَذَا " قَالَ مَالِكٌ: «فَتُمْرِضُ وَاللَّهُ دِينَ ذَلِكَ الْقَارِئِ وَيَدْعُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا يَتِيمَةً ضَعِيفَةً فَيَكْسُوها فَتُزْجَرُ وَيَدْهَنُهَا فَتُزْجَرُ»^{٥٩}.

١٧ - عدم التوازن في جوانب العبادة وإعطاء كل ذي حق حقه

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ، فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لَجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، صُمْ وَأَفْطِرْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، صَوْمُ الدَّهْرِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ: «صُمْ صَوْمَ دَاوُدَ، صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا»، قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ أَخَذْتُ^{٦٠}

^{٥٩} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٣٨٠)

^{٦٠} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٨/ ٤٠٠) (٣٦٣٨) صحيح

فينشغل بجوانب الخير وطرقه، وينسى بعض الواجبات عليه، أو يغفل عنها، أو يهملها، أو لا يلقي لها بالا.

وفجأة يرى نفسه مثلاً مفرطاً في بر الوالدين وصلة الأرحام، أو يرى نفسه مفرطاً في جانب ولده وأهله، وأنه لم يقم بتربيتهم على الوجه المطلوب، أو غير ذلك من الأمور فيحمل ذلك على انشغاله بالدعوة فيفتر ويتركها.

ولو أن هذا الأخ وازن بين الواجبات والمستحبات، وأعطى كل ذي حق حقه ونصيته، ما ترك شيئاً من طرق الخير وأهمله.

١٨ - دخوله في عمل لا يتلاءم مع شخصيته وتكوينه وطاقاته وقدراته، فيفشل فيصاب بإحباط فيدع العمل، ولا يحاول التغيير.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ: " قُلْتُ أَرَبْعًا أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَصْدِيقِي بِهَا فِي كِتَابِهِ، قُلْتُ: الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ فَإِنْ هُوَ تَكَلَّمَ ظَهَرَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} [محمد: ٣٠] وَقُلْتُ: مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ} [يونس: ٣٩] ، وَقُلْتُ: قَدَرْتُ، أَوْ قَالَ: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ طَالُوتَ {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ

وَالْجِسْمِ} [البقرة: ٢٤٧] وَقُلْتُ: الْقَتْلُ يُقْلُ الْقَتْلَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
تَعَالَى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [البقرة:
١٧٩] ٦١

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم — متباينين في الطاقات
والقدرات، وكل أخذ بالعمل الذي يحسنه، وما روي أحد منهم
عاطلاً عن العمل، فخالد سيف الله المسلول، فعن أنس، أَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ قَالَ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ،
وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ،
وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ،
أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، أَلَا وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ
الْجَرَّاحِ» ٦٢.

وهذا أبو ذر — رضي الله عنه — من أكبر المؤثرين في الدعوة،
حتى أسلمت جلُّ غفار على يديه، ومع ذلك لا يصلح للإمارة
كما أخبره رسول الله ﷺ.

١٩ - يريد عملاً يتوافق مع خواطره وتخيالاته

٦١ - ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (١/ ١٧٧) (٦٦١)

٦٢ - السنن الكبرى للنسائي (٧/ ٣٤٥) (٨١٨٥) صحيح

وهذا العمل غير متمثل في واقعه، أو غير ممكن تطبيقه. فتتحول نظرائه وخواطره إلى خيالات مثالية، ويعتذر بها عند كل من يطلب منه أن يشارك في خير، أو إصلاح.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَيْضًا: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا سَدَّدَهُ، وَجَعَلَ سُؤَالَهُ عَمَّا يَعْنِيهِ، وَعِلْمُهُ فِيمَا يَنْفَعُهُ»^{٦٣}.

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ لِأَبْنِهِ: «يَا بُنَيَّ اطْلُبْ مَا يَعْنِيكَ بِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِيكَ، فَإِنْ فِي تَرْكِكَ مَا لَا يَعْنِيكَ دَرْكًا لِمَا يَعْنِيكَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى مَا قَدَّمْتَ، وَلَسْتَ تَقْدُمُ عَلَى مَا أَخَّرْتَ، فَآثِرُ مَا تَلْقَاهُ غَدًا عَلَى مَا لَا تَرَاهُ أَبَدًا»^{٦٤}.

٢٠ - استعجال الثمرة واستبطاء الطريق:

ونسي أنه وقف لله تعالى، يذهب مع مرادات محبوبه أينما توجهت ركائبها لا يبتغي لها أجرًا، ولا ينتظر منها ذكرًا، قالت فاطمة بنت عبد الملك تصف زوجها عمر بن عبد العزيز: كان قد فرغ للمسلمين نفسه، ولأموارهم ذهنه، فكان إذا أمسى مساءً لم يفرغ فيه من حوائج يومه وصل يومه بليته.

^{٦٣} - الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٤١٩) (٣٣٧)

^{٦٤} - الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٤١٩) (٣٤٠)

قال بعض أصحاب عمر بن عبد العزيز القدامى لعمر: لو تفرغت لنا فقال: وأين الفراغ؟ ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله. قالوا عن محمد بن أحمد الدباهي: لازم العبادة، والعمل الدائم والجد، واستغرق أوقاته في الخير.. صلب في الدين، وينصح الإخوان، وإذا رآه إنسان: عرف الجدد في وجهه. ولما تعجب غافل من باذل وقال له: إلى كم تتعب نفسك؟ كان جواب الباذل سريعاً حاسماً: راحتها أريد.

عجبت لهم قالوا: تماديت في المنى وفي المثل العليا وفي المرتقى الصعب

فاقصر ولا تجهد يراعك إنما ستبذر حبا في ثرى ليس بالخصب

فقلت لهم: مهلاً، فما اليأس شيمتي سأبذر حيي والثمار من الرب

إذا أنا بلغت الرسالة جاهدنا ولم أجد السمع المحيب فما ذنبي؟

٢١ - الانفصال عن الأخيار العاملين:

فيبقى يصارع الشيطان وحده، فيجتمع عليه الهوى والنفس الأمار بالسوء والشيطان حتى يغلبوه، عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ،

قَالَ: سَأَلَنِي أَبُو الدَّرْدَاءِ أَيْنَ مَسْكَنُكَ؟ قُلْتُ: فِي قَرْيَةٍ دُونَ حِمَصٍ
قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ
لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا اسْتَحَوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ،
فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ الْقَاصِيَةَ».^{٦٥}

وقد كان السلف الصالح لا يراهنون على إخوانهم أبداً حتى وصل
بهم الأمر أن يقرنوههم بالصلاة في أهميتها وعظمتها.

عن جَعْفَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعٍ، يَقُولُ: «مَا بَقِيَ فِي
الدُّنْيَا شَيْءٌ أُلْذِ بِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ جَمَاعَةً وَلُقِيَ الْإِخْوَانُ».^{٦٦}

وَعَنِ الْأَصْمَعِيِّ وَعِيسَى بْنِ عُمَرَ النَّخَوِيِّ؛ قَالَا: قِيلَ لِحَكِيمٍ مِنْ
حُكَمَاءِ الْعَرَبِ: تَمَنَّ. فَقَالَ: مُحَادَثَةُ الْإِخْوَانِ، وَكَفَافٌ مِنْ عَيْشٍ
يَسُدُّ خُلَّتِي وَيَسْتُرُ عَوْرَتِي، وَالْإِثْقَالُ مِنْ ظِلٍّ إِلَى ظِلٍّ.^{٦٧}

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ: لَمْ يَبْقَ مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا ثَلَاثُ الصَّلَاةِ فِي
الْجَمَاعَةِ تَرْزُقُ فَضْلَهَا وَتَكْفِي سَهْوَهَا وَكَفَافٌ مِنْ مَعَاشٍ لَيْسَتْ
لأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عَلَيْكَ فِيهِ مَنَّةٌ وَلَا لِلَّهِ عَلَيْكَ فِيهِ تَبَعَةٌ وَأَخٌ مُحْسِنٌ
الْعَشْرَةَ زَغَتِ قَوْمُكَ^{٦٨}

^{٦٥} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٥/ ٤٥٧) (٢١٠١) حسن

^{٦٦} - الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٥٤) (١٨٢٣) صحيح

^{٦٧} - المجالسة وجواهر العلم (٧/ ٧٥) (٢٩٤٦)

^{٦٨} - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٨٦) صحيح

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ شُعْبَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ بِهِ حَاجَتَهُ،
إِنَّ بِهِ عِلَّتَهُ، يَفْرَحُ لِفَرَحِهِ، وَيَحْزَنُ لِحُزْنِهِ، وَهُوَ مِرْآةُ أَخِيهِ، إِنْ
رَأَى مِنْهُ مَا لَا يُعْجِبُهُ سَدَّدَهُ وَقَوْمَهُ، وَوَجَّهَهُ، وَحَاطَهُ فِي السِّرِّ
وَالْعَلَانِيَةِ، إِنْ لَكَ مِنْ خَلِيلِكَ نَصِيبًا، وَإِنْ لَكَ نَصِيبًا مِنْ ذِكْرِ مَنْ
أَحْبَبْتَ، فَتَنَقُّوا الْإِخْوَانَ وَالْأَصْحَابَ وَالْمَجَالِسَ»^{٦٩}.

فالعين تنظر منها ما دنا ونأى ولا ترى نفسها إلا بمرآة
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ بِنَصِيحَةٍ
لَهُ فِي دِينِهِ، وَنَظَرَ لَهُ فِي صَلَاحِ دُنْيَاهُ، فَقَدْ أَحْسَنَ صَلَاتَهُ، وَأَدَّى
وَاجِبَ حَقِّهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّهَا نَصِيحَةٌ لَكُمْ فِي دِينِكُمْ فَأَقْبِلُوهَا،
وَمَوْعِظَةٌ مُنْجِيَةٌ مِنَ الْعَوَاقِبِ فَالزَّمُوهَا، فَالزُّزْقُ مَقْسُومٌ، وَلَنْ يَعْدُوَ
الْمَرْءُ مَا قُسِمَ لَهُ، فَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ فِي الْقُنُوعِ سَعَةً وَبُلْعَةً،
وَكَفًّا عَنْ كَلْفَةٍ، لَا يَحِلُّ الْمَوْتُ فِي أَعْنَاقِكُمْ، وَجَهَنُّهُ أَيَّامُكُمْ، وَمَا
تَرَوْنَ ذَاهِبٌ، وَمَا مَضَى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ،
أَمَّا رَأَيْتُمْ حَالَاتِ الْمُنِيبِ وَهُوَ يُشْرِفُ وَيَعْدُ فَرَاغَهُ، وَقَدْ ذَاقَ
الْمَوْتَ وَعَائِلَهُمْ تَعْجِيلَ إِخْرَاجِ أَهْلِهِ إِلَيْهِ مِنْ دَارِهِ إِلَى قَبْرِهِ،
وَسُرْعَةَ انْصِرَافِهِمْ إِلَى مَسْكَنِهِ، وَجَهَّهُ مَفْقُودٌ، وَذِكْرُهُ مَنْسِيٌّ، وَبَابُهُ

^{٦٩} - الزهد والرفائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ٢٣٢) (٦٦٢)

عَنْ قَلِيلٍ مَهْجُورٍ، كَانَ لَمْ يُخَالِطْ إِخْوَانَ الْحُفَاطِ، وَلَمْ يُعْمَرْ
الدَّيَّارَ، فَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَخْفَى فِيهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ فِي الْمَوَازِينِ" ^{٧٠}
عن الرِّبِّيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: «مَا أُرَدْتُ
الْحَقَّ وَالْحُجَّةَ عَلَى أَحَدٍ فَقَبِلَهَا مِنِّي إِلَّا هَبْتُهُ وَاعْتَقَدْتُ مَوَدَّتَهُ، وَلَا
كَابَرَنِي أَحَدٌ عَلَى الْحَقِّ، وَدَفَعَ الْحُجَّةَ الصَّحِيحَةَ إِلَّا سَقَطَ مِنْ
عَيْنِي وَرَفَضْتُهُ» ^{٧١}.

وقد وصف الله أهل الزيغ بأنهم لا يرغبون في النصح ولا يحبون
أهله قال تعالى: {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي
وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} [الأعراف: ٧٩]

ما عاتب المرء الكريم نفسه والمرء يصلحه المجلس الصالح

٢٢ - التفكير العقيم بأن مجالات الدعوة محدودة برقم محدد

وقد أغلقت كلها،

أو أنه لا يحسنها، فيفتروا ولا يحاول التفكير بأساليب جديدة، أو
يستصعبها فيتركها.

ومن ظن أن أحداً من المخلوقين كائناً من كان يستطيع أن يغلق
جميع منافذ وسبل الدعوة فقد ظن بالله ظن السوء وما قدر الله حق

^{٧٠} - القناعة والتعفف (ص: ٦٤) وموسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية (١)

٤٩١، بترقيم الشاملة آليا)

^{٧١} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٧)

قدره، قال تعالى: { يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }، قال ابن القيم: ومن ظن إدالة أهل الكفر على أهل الإسلام إدالة تامة فقد ظن بالله ظن السوء^{٧٢}، قال ابن الجوزي: ومن الصفوة أقوام مذ تيقظوا ما ناموا، ومذ سلكوا ما وقفوا، فهمهم صعودٌ وترقُّ، كلما عبروا مقاماً رأوا نقص ما كانوا فيه فاستغفروا.^{٧٣}

وَكَتَبَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ رَقِيقٌ، كَلَّفْتَنِي أَنْ أَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ. وَكَانَ عَلَى الْخَرَاجِ وَالْقَضَاءِ بِالْجَزِيرَةِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنِّي لَمْ أَكْلِفْكَ مَا يُعْنِيكَ، اجِبِ الطَّيِّبَ مِنَ الْخَرَاجِ، وَأَقْضِ بِمَا اسْتَبَانَ لَكَ، فَإِذَا لُبَسَ عَلَيْكَ شَيْءٌ، فَارْفَعْهُ إِلَيَّ، فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ كَانَ إِذَا كَبُرَ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ تَرَكَوْهُ، لَمْ يَقُمْ دِينَ وَلَا دُنْيَا.^{٧٤}

وقد تسيطر على تفكيره بعض مجالات وطرق الدعوة، ويتصور أن نشر هذا الدين والدعوة إليه لا تكون إلا بها! كمن يرى أن الدعوة هي في المحاضرات، والدروس، أو نشر شريط وكتاب،

^{٧٢} - موسوعة خطب المنير - الإصدار الثاني (ص: ٤٦٩١) وموسوعة خطب المنير

(ص: ٤٧٨٤)

^{٧٣} - صيد الخاطر (ص: ٣٦٦)

^{٧٤} - سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥ / ٧٤)

ونسي الطرق الأخرى مثل الدعوة بالقُدوة الحسنة، والكلمة الطيبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الرحم وتوجيههم ونصحهم، والتلطف للناس وحسن معاملتهم الخ.

٢٣ - التنقل بين البلدان والاصطدام بواقع لا يعرفه:

فلا يخطط للعمل في الوطن الجديد، ولا يعمل ذهنه في الوسائل المناسبة، فيصطدم من أول يوم بوضع غير الذي يعرفه بسبب تقصيره في فهم البلد وأنظمتها، أو عادات وتقاليد أهلها، فيصاب بإحباط ويدعُ العمل.

أو يتعلّق ببلد معين ويستमित في الوصول إليه والسكن فيه بحجة أنه أفضل، أو أن البلد الذي فيه لا يستحقّ جلوس أمثاله فيه. ونسي أنه عامل وداعية، أرضه وبلده التي يتمكن فيها من نشر دعوته بين الناس، وإخراجهم فيها من الظلمات إلى النور، فقد يكون بلد بنفسه فاضلاً على غيره، لكن المفضول أحياناً يكون أفضل منه للمسلم لهذه الحثية.

قال الإمام أحمد ابن حنبل - رحمه الله - (الجهاد والرباط لا يعدله شيء) ١. هـ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (وَكَذَلِكَ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ - فِيمَا أَعْلَمُ - عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي التَّطَوُّعَاتِ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ. فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَجِّ وَأَفْضَلُ مِنَ الصَّوْمِ التَّطَوُّعِ

وَأَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ التَّطَوُّعُ. وَالْمُرَابَطَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ
الْمُجَاوَرَةِ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ لَأَنْ أُرَابِطُ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُوَافِقَ لَيْلَةً
الْقَدَرِ عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ. فَقَدْ اخْتَارَ الرِّبَاطَ لَيْلَةً عَلَى الْعِبَادَةِ فِي
أَفْضَلِ اللَّيَالِي عِنْدَ أَفْضَلِ الْبَقَاعِ؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ
يُقِيمُونَ بِالْمَدِينَةِ دُونَ مَكَّةَ؛ لِمَعَانٍ مِنْهَا أَنَّهُمْ كَانُوا مُرَابِطِينَ
بِالْمَدِينَةِ. فَإِنَّ الرِّبَاطَ هُوَ الْمَقَامُ بِمَكَانٍ يُخِيفُهُ الْعَدُوُّ وَيُخِيفُ الْعَدُوَّ
فَمَنْ أَقَامَ فِيهِ بِنِيَّةٍ دَفَعَ الْعَدُوَّ فَهُوَ مُرَابِطٌ وَالْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ. ٧٥.

فنرى كثيرا من أهل العلم يذهب كل سنة إلى الحج وإلى العمرة
مرات كثيرة في السنة، ولا يفوت صيام يوم عاشوراء ولا عرفة ولا
غيرها من الأيام التي يُستحب فيها الصيام، ولكنه في عبادة الجهاد
وهي أفضل من هذا كله لا يحرص عليها، فتمر عليه السنون تلو
السنون ولا يغزو ولا يجاهد في عمره ولو مرة واحدة!..

قال ابن تيمية: وَلِهَذَا كَانَ أَفْضَلُ الْأَرْضِ فِي حَقِّ كُلِّ إِنْسَانٍ أَرْضُ
يَكُونُ فِيهَا أَطْوَعُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَلَا
تَتَعَيَّنُ أَرْضٌ يَكُونُ مَقَامُ الْإِنْسَانِ فِيهَا أَفْضَلَ وَإِنَّمَا يَكُونُ الْأَفْضَلُ

٧٥ - كيف تسبق (ص: ٣، بترقيم الشاملة آليا) وموسوعة خطب المنبر (ص: ٢٣٠٨)

ومجموع الفتاوى (٢٨ / ٤١٨)

فِي حَقِّ كُلِّ إِنْسَانٍ بِحَسَبِ التَّقْوَى وَالطَّاعَةِ وَالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ
وَالْحُضُورِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ، كَتَبَ إِلَى سَلْمَانَ
الْفَارِسِيِّ: أَنْ هَلُمَّ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَلْمَانُ: إِنَّ
الْأَرْضَ لَا تُقَدَّسُ أَحَدًا: وَإِنَّمَا يُقَدَّسُ الْإِنْسَانُ عَمَلُهُ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ
جَعَلْتَ طَبِيبًا فَإِنْ كُنْتُ تُبْرئُ فَنِعْمًا لَكَ، وَإِنْ كُنْتُ مُتَطَبِّبًا فَاحْذَرُ
أَنْ تَقْتُلَ إِنْسَانًا؛ فَيُدْخِلَكَ النَّارَ، وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِذَا قَضَى بَيْنَ
اثنينِ ثُمَّ أَدْبَرَ عَنْهُ، نَظَرَ إِلَيْهِمَا وَقَالَ: مُتَطَبَّبٌ وَاللَّهِ، ارْجِعَا إِلَيَّ،
أَعِيدَا عَلَيَّ قَضِيَّتَكُمَا^{٧٦}. وَعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ،
«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَى بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبَى الدَّرْدَاءِ، قَالَ فَجَاءَ
سَلْمَانُ يَزُورُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَتِّلَةً، فَقَالَ: مَا
شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: إِنَّ أَحَاكَ لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا فَلَمَّا جَاءَ أَبُو
الدَّرْدَاءِ، رَحَّبَ بِهِ سَلْمَانُ، وَقَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامًا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ:
أَطْعِمْ، قَالَ: إِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا طَعِمْتَ، فَإِنِّي مَا
أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ مَعَهُ وَبَاتَ عِنْدَهُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ
اللَّيْلِ، قَامَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَحَبَسَهُ سَلْمَانُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنَّ
لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِلْأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا،

^{٧٦} - الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٢٧) (٨٣٨) (المجالسة وجواهر العلم (٤/

(٦٩) (١٢٣٨) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٠٥) وموطأ مالك ت عبد الباقي

(٢/ ٧٦٩) (٧) فيه انقطاع

أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَأَنْتِ أَهْلُكَ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ، قَالَ: قُمْ الْآنَ، فَقَامَا فَصَلَّيَا ثُمَّ خَرَجَا إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ، قَامَ إِلَيْهِ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا، قَالَ سَلْمَانُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مِثْلَ مَا قَالَ سَلْمَانُ^{٧٧}. وَكَانَ سَلْمَانُ أَفْقَهُ مِنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي أَشْيَاءَ مِنْ جُمْلَتِهَا هَذَا. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ {سَأَرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} وَهِيَ الدَّارُ الَّتِي كَانَ بِهَا أَوْلَئِكَ الْعَمَالِقَةُ ثُمَّ صَارَتْ بَعْدَ هَذَا دَارَ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ الدَّارُ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَأَرْضِ مِصْرَ الَّتِي أَوْرَثَهَا اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَحْوَالُ الْبِلَادِ كَأَحْوَالِ الْعِبَادِ فَيَكُونُ الرَّجُلُ تَارَةً مُسْلِمًا وَتَارَةً كَافِرًا وَتَارَةً مُؤْمِنًا وَتَارَةً مُنَافِقًا وَتَارَةً بَرًّا تَقِيًّا وَتَارَةً فَاسِقًا وَتَارَةً فَاجِرًا شَقِيًّا. وَهَكَذَا الْمَسَاكِينُ بِحَسَبِ سُكَّانِهَا فَهَجْرَةُ الْإِنْسَانِ مِنْ مَكَانِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي إِلَى مَكَانِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ كَتَوْبَتِهِ وَانْتِقَالِهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ وَهَذَا أَمْرٌ بَاقٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^{٧٨}.

٢٤ - يقع في معصية فيستثمرها الشيطان ويراي بها

^{٧٧} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٢/ ٢٣) (٣٢٠) صحيح

^{٧٨} - مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٨٣)

ويقول: كيف تدعو إلى الله تعالى وأنت وقعت في كذا وعملت كذا، فلا يزال به حتى يقعه عن العمل والطاعة فيضيف إلى معصيته معصية أخرى وهي القعود عن أعمال الخير. ونسي أخونا الكريم أن الحسنات يذهبن السيئات.

٢٥ - المنافسة بين الأقران:

فإذا رأى أن قرينه قد فاقه في علم أو عمل تعاضم ذلك في نفسه، وكره أن يمشي معه في سبيل واحد، واختار القعود على أن يقال: إنه أقل من فلان وفلان، ونسي ماجاء عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^{٧٩}.

٢٦ - حب الرياسة والعلو:

فحين يرى أنه لم يتبوأ مركزاً في الدعوة، يتعاضم أن يكون تابعاً لغيره أنفة وترفعاً وكبراً، وفي الحديث عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا ذُبَّانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الرَّجُلِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»^{٨٠}.

^{٧٩} - صحيح البخاري (١/ ١٢) (١٣) [ش (لا يؤمن أحدكم) الإيمان الكامل. (ما

يحب لنفسه) من فعال الخير]

^{٨٠} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٨/ ٢٤) (٣٢٢٨) صحيح

قال الفضيل بن عياض: ما أحب أحد الرياسة إلا أحب ذكر الناس بالنقائص والعيوب ليشتموا به الكمال، ويكره أن يذكر الناس أحداً عنده بخير، ومن عشق الرياسة فقد تودّع من صلاحه.

عن عبد الرحمن بن مهدي، قال: " كُنَّا فِي جَنَازَةِ فِيهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ وَهُوَ عَلَى الْقَضَاءِ، فَلَمَّا وَضِعَ السَّرِيرُ جَلَسَ وَجَلَسَ النَّاسُ حَوْلَهُ، قَالَ فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَعَلَطَ فِيهِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، الْقَوْلُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَذَا وَكَذَا إِلَّا إِنِّي لَمْ أَرُدْ هَذِهِ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَكَ إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا، فَأَطْرَقَ سَاعَةً وَقَالَ: إِذَا أَرَجِعُ وَأَنَا صَاغِرٌ لَأَنْ أَكُونَ ذَنْبًا فِي الْحَقِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ رَأْسًا فِي الْبَاطِلِ ".^{٨١}.

قال ذلك حين رجع عن أقوال له خالفت السنة، فقليل له في ذلك وأنك لم تعد في مكانتك السابقة لما كنت على تلك الأقوال.

٢٧ - التفرغ لعمل علمي، أو بناء بيت أو غير ذلك لبضع

سنوات

فيحمد حماسه، ويضعف تجاوبه مع الدعوة، وينسى كثيراً من الأساليب والأفكار، ويستجد أعمالاً وأحوالاً، فتعظم عليه الأمور

^{٨١} - ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (١/ ٩٤) والطبوريات (٢/ ٣٠٥) (٢٤٧)

ويفضل أن يعيش في الظل بعيداً عن الأضواء، ويألف الوحدة والانعزالية.

عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ التَّحِييِّ، قَالَ: كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرُّومِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَرُ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ، فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ. فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ هَذِهِ الْآيَةُ هَذَا التَّأْوِيلُ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيْنَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا، فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا: { وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } [البقرة: ١٩٥]، فَكَانَتْ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةُ عَلَى الْأَمْوَالِ وَإِصْلَاحُهَا، وَتَرْكُنَا الْعَزْوَ «فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ، شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ»^{٨٢}.

^{٨٢} - سنن الترمذي ت شاكر (٢١٢/٥) (٢٩٧٢) صحيح

٢٨ - ترك العمل بسبب ظروف طارئة، وأحوال عسيرة،

ينتظر تجليتها، ويرقب الفرج، ويأمل كشف الغربة

وينسى أن تجلية الغربة لا تتأتى بالكسل والخمول والنوم، ولم يتفكر كيف كشفت الغربة الأولى هل جلس أبو بكر وعمر وغيرهما من الصحابة ينتظرون كشفها أم قاموا على قدم وساق حتى كشفوها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَكَمَا أَنَّ اللَّهَ نَهَى نَبِيَّهُ أَنْ يُصِيبَهُ حَزَنٌ أَوْ ضِيقٌ مِمَّنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ فَكَذَلِكَ فِي آخِرِهِ. فَالْمُؤْمِنُ مِنْهُمْ أَنْ يَحْزَنَ عَلَيْهِمْ أَوْ يَكُونَ فِي ضِيقٍ مِنْ مَكْرِهِمْ. وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا رَأَى الْمُنْكَرَ أَوْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْ أَحْوَالِ الْإِسْلَامِ حَزَرَ وَكَلَّ وَنَاحَ كَمَا يُنُوحُ أَهْلُ الْمَصَائِبِ وَهُوَ مِنْهُمْ عَنْ هَذَا؛ بَلْ هُوَ مَأْمُورٌ بِالصَّبْرِ وَالتَّوَكُّلِ وَالثَّبَاتِ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ وَأَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ وَأَنْ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى. وَأَنْ مَا يُصِيبُهُ فَهُوَ بِذُنُوبِهِ فَلْيَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَيْسْتَغْفِرَ لِذَنْبِهِ وَلْيُسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّهِ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ. وَقَوْلُهُ ﷺ «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» يَحْتَمِلُ شَيْئَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ فِي أَمْكَنَةٍ وَأَزْمَنَةٍ يَعُودُ غَرِيبًا بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَظْهَرُ كَمَا كَانَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ غَرِيبًا ثُمَّ ظَهَرَ. وَلِهَذَا قَالَ {سَيَعُودُ

غَرِيْبًا كَمَا بَدَأَ} . وَهُوَ لَمَّا بَدَأَ كَانَ غَرِيْبًا لَا يُعْرَفُ ثُمَّ ظَهَرَ
وَعُرِفَ فَكَذَلِكَ يَعُودُ حَتَّى لَا يُعْرَفَ ثُمَّ يَظْهَرُ وَيُعْرَفُ. فَيَقُلُ مَنْ
يَعْرِفُهُ فِي أَثْنَاءِ الْأَمْرِ كَمَا كَانَ مَنْ يَعْرِفُهُ أَوَّلًا. وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ فِي آخِرِ
الدُّنْيَا لَا يَبْقَى مُسْلِمًا إِلَّا قَلِيلٌ. وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الدَّجَالِ
وَيَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ عِنْدَ قُرْبِ السَّاعَةِ. وَحِينَئِذٍ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيْحًا
تَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ثُمَّ تَقُومُ الْقِيَامَةُ. وَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَقَدْ
جَاءَ عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي
ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ
وَهُمْ كَذَلِكَ». وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَمِثْلُهُ مِنْ عِدَّةٍ
أَوْجُهُ^{٨٣}. فَقَدْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ أَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مُمْتَنِعَةٌ
مِنْ أُمَّتِهِ عَلَى الْحَقِّ أَعَزَّاءَ لَا يَضُرُّهُمْ الْمُخَالَفُ وَلَا خِلَافُ الْخَاذِلِ.
فَأَمَّا بَقَاءُ الْإِسْلَامِ غَرِيْبًا ذَلِيلًا فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا قَبْلَ السَّاعَةِ فَلَا يَكُونُ
هَذَا. وَقَوْلُهُ ﷺ {ثُمَّ يَعُودُ غَرِيْبًا كَمَا بَدَأَ} أَعْظَمُ مَا تَكُونُ غُرْبَتُهُ إِذَا
ارْتَدَّ الدَّاخِلُونَ فِيهِ عَنْهُ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ
يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا
يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

^{٨٣} - صحيح مسلم (١٥٢٣/٣) - ١٧٠ - (١٩٢٠) وهو متواتر

{ [المائدة: ٥٤]. فَهَؤُلَاءِ يُقِيمُونَهُ إِذَا ارْتَدَّ عَنْهُ أُولَئِكَ. وَكَذَلِكَ
بَدَأُ غَرِيبًا وَلَمْ يَزَلْ يَقْوَى حَتَّى انْتَشَرَ. فَهَكَذَا يَتَغَرَّبُ فِي كَثِيرٍ مِنْ
الْأَمَكَنَةِ وَالْأَزْمَنَةِ ثُمَّ يَظْهَرُ حَتَّى يُقِيمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا كَانَ عُمَرُ
بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمَّا وُلِّيَ قَدْ تَغَرَّبَ كَثِيرٌ مِنَ الْإِسْلَامِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ
النَّاسِ حَتَّى كَانَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْرِفُ تَحْرِيمَ الْخَمْرِ. فَأَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ
فِي الْإِسْلَامِ مَا كَانَ غَرِيبًا. ^{٨٤}.

وما علم هذا الأخ بأنه في وقوفه يتزل ويضعف إيمانه. يقول ابن
القيم رحمه الله: وَالْقَصْدُ أَنَّ إِضَاعَةَ الْوَقْتِ الصَّحِيحِ يَدْعُو إِلَى دَرْكِ
النَّقِيصَةِ، إِذْ صَاحِبُ حِفْظِهِ مُتَرَقٍّ عَلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ، فَإِذَا
أَضَاعَهُ لَمْ يَقِفْ مَوْضِعُهُ، بَلْ يَنْزِلُ إِلَى دَرَجَاتٍ مِنَ النَّقْصِ، فَإِنْ لَمْ
يَكُنْ فِي تَقَدُّمٍ فَهُوَ مُتَأَخِّرٌ وَلَا بُدَّ، فَالْعَبْدُ سَائِرٌ لَا وَاَقِفٌ، فَإِمَّا إِلَى
فَوْقٍ، وَإِمَّا إِلَى أَسْفَلٍ، إِمَّا إِلَى أَمَامٍ وَإِمَّا إِلَى وَرَاءٍ، وَلَيْسَ فِي
الطَّبِيعَةِ وَلَا فِي الشَّرِيعَةِ وَقُوفٌ الْبَتَّةَ، مَا هُوَ إِلَّا مَرَا حِلُّ تُطَوَّى
أَسْرَعَ طَيًّا إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ، فَمُسْرَعٌ وَمُبْطِئٌ، وَمُتَقَدِّمٌ وَمُتَأَخِّرٌ،
وَلَيْسَ فِي الطَّرِيقِ وَاَقِفٌ الْبَتَّةَ، وَإِنَّمَا يَتَخَالَفُونَ فِي جِهَةِ الْمَسِيرِ،
وَفِي السَّرْعَةِ وَالْبُطْءِ {إِنَّهَا لِاحْدَى الْكُبَرِ - نَذِيرًا لِلْبَشَرِ - لِمَنْ

^{٨٤} - موسوعة خطب المنبر (ص: ٣٧٣٣) والمنتخب من كتب شيخ الإسلام (ص:

١٣٩) ومجموع الفتاوى (١٨ / ٢٩٥)

شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ} [المدر: ٣٥ - ٣٧] وَلَمْ يَذْكُرْ
وَاقِفًا، إِذْ لَا مَنْزِلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَلَا طَرِيقَ لِسَالِكٍ إِلَى غَيْرِ
الدَّارَيْنِ الْبَتَّةَ، فَمَنْ لَمْ يَتَقَدَّمَ إِلَى هَذِهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَهُوَ مُتَأَخِّرٌ
إِلَى تِلْكَ بِالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ.^{٨٥}

٢٩ - خشي على وظيفته أو جاهه ومركزه

ففضل البعد عن العمل، وسؤل له الشيطان أن الفترة قصيرة، وأن
هذا من التخطيط السليم، فتحول تفكيره وعمله إلى المحافظة على
مركزه ومكانته، روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري، قال :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ رَهْبَةَ النَّاسِ، أَنْ يَقُولَ
بِحَقِّ إِذَا رَأَاهُ، أَوْ شَهِدَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُقَرَّبُ مِنْ أَجْلِ، وَلَا يُبَاعَدُ مِنْ
رِزْقٍ، أَنْ يَقُولَ بِحَقِّ، أَوْ يُذَكَّرَ بِعَظِيمٍ»..^{٨٦}
وعن أبي سعيد الخدري، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ
أَحَدُكُمْ مَخَافَةَ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِالْحَقِّ إِذَا رَأَاهُ»..^{٨٧}

٣٠ - تمكن الشيطان من إلقاء الشبهات في قلبه وبخاصة في

وقت الفتن

^{٨٥} - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٢٧٨)

^{٨٦} - مسند أحمد (عالم الكتب) (٤/ ١٣٠) (١١٤٧٤) (١١٤٩٤) - فيه انقطاع

^{٨٧} - صحيح ابن حبان - مخرجا (١/ ٥٠٩) (٢٧٥) صحيح

فبيدأ في مراجعة حساباته لا لتقويمها وسد الثغرات، ويقظة الحراسة، وإنما لتبديل القناعات لديه من غير دليل صحيح صريح.

وهذا هو الذي خشيه خبير الفتن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، فعن خالد، مولى أبي مسعود، قال: قال حذيفة لأبي مسعود: «إِنَّ الضَّلَالَةَ حَقُّ الضَّلَالَةِ أَنْ تَعْرِفَ مَا كُنْتَ تُنْكِرُ، وَتُنْكِرَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ، وَإِيَّاكَ وَالتَّلَوْنَ فِي الدِّينِ فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ وَاحِدٌ»^{٨٨}.

وعن أيوب السخيتاني، أن أبا مسعود الأنصاري دخل على حذيفة فقال: أوصنا يا أبا عبد الله، فقال حذيفة: «أَمَا جَاءَكَ الْيَقِينُ؟»، قال: بلى وربّي، قال: «فَإِنَّ الضَّلَالَةَ حَقُّ، الضَّلَالَةُ أَنْ تَعْرِفَ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ تُنْكِرُ قَبْلَ الْيَوْمِ، وَأَنْ تُنْكِرَ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ قَبْلَ الْيَوْمِ، وَإِيَّاكَ وَالتَّلَوْنَ فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ وَاحِدٌ»^{٨٩}.

وعن محمد بن سيرين، قال: قال عدي بن حاتم: «إِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَعْرِفُوا مَا كُنْتُمْ تُنْكِرُونَ، وَتُنْكِرُوا مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ، وَمَا دَامَ عَالَمُكُمْ يَتَكَلَّمُ بَيْنَكُمْ غَيْرَ خَائِفٍ»^{٩٠}.

وعن إبراهيم، قال: «كَأَنُّوا يَكْرَهُونَ التَّلَوْنَ فِي الدِّينِ»^{٩١}.

^{٨٨} - مسند ابن الجعد (ص: ٤٥٢) (٣٠٨٣) والإبانة الكبرى لابن بطة (١)

(١٨٩) (٢٥) والإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٠٤) (٥٧١) صحيح لغيره

^{٨٩} - جامع معمر بن راشد (١١/ ٢٤٩) (٢٠٤٥٤) حسن لغيره

^{٩٠} - الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ١٩٠) (٢٦) صحيح

وَقَالَ مَالِكٌ: «الدَّاءُ الْعُضَالُ التَّنْقُلُ فِي الدِّينِ»^{٩٢}.

٣١ - كابد وجاهد نفسه فتعب ومل وترك العمل:

ولا ندري كم من العقود جاهد وكابد فيها هذا الأخ الكريم! ألم يقرأ سير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [العنكبوت: ١٤]

قال ابن القيم: طالب النفوذ إلى الله والدَّار الآخرة بل وإلى كل علم وصناعة ورئاسة بحيث يكون رأساً في ذلك مقتدى به فيه، يحتاج أن يكون شجاعاً مقداماً حاكماً على وهمه غير مقهور تحت سلطان تخيله، زاهداً في كل ما سوى مطلوبه، عاشقاً لما توجه إليه عارفاً بطريق الوصول إليه والطرق القواطع عنه مقداماً المهمة، ثابت الجأش لا يثنيه عن مطلوبه لوم لاثم ولا عذل عاذل، كثير السكون دائم الفكر غير مائل مع لذة المدح ولا ألم الذم، قائماً بما يحتاج إليه من أسباب معونته لا تستفزه المعارضات شعاره الصبر وراحته التعب، محباً لمكارم الأخلاق حافظاً لوقته لا يخالط الناس إلا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحب بينهم،

^{٩١} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٢٣٣) صحيح

^{٩٢} - الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٠٦) (٥٧٦) صحيح

قَائِمًا عَلَى نَفْسِهِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ طَامِعًا فِي نَتَائِجِ الْإِخْتِصَاصِ عَلَى
بَنِي جَنْسِهِ ،غَيْرَ مُرْسِلٍ شَيْئًا مِنْ حَوَاسِهِ عَبَثًا وَلَا مَسْرَحًا خَوَاطِرَهُ
فِي مَرَاتِبِ الْكَوْنِ وَمَلَكَ ذَلِكَ هَجَرَ الْعَوَائِدِ وَقَطَعَ الْعَلَائِقَ الْحَائِلَةَ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَطْلُوبِ ،وَعِنْدَ الْعَوَامِ أَنَّ لُزُومَ الْأَدَبِ مَعَ الْحِجَابِ
خَيْرٌ مِنْ إِطْرَاحِ الْأَدَبِ مَعَ الْكَشْفِ"^{٩٣} .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ: «كَابَدْتُ نَفْسِي أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى
اسْتَقَامْتُ»^{٩٤} .

وَهَذَا الْإِمَامُ الْقُدْوَةُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ثَابِتُ الْبُنَانِيِّ قَالَ: «كَابَدْتُ
الصَّلَاةَ عَشْرِينَ سَنَةً وَتَنَعَّمْتُ بِهَا عَشْرِينَ سَنَةً»^{٩٥}
وَعَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: صَحِبْنَا الرَّبِيعَ بْنَ خُثَيْمٍ عَشْرِينَ سَنَةً «فَمَا تَكَلَّمَ
إِلَّا بِكَلِمَةٍ تَصْعَدُ» وَقَالَ آخَرُ «صَحِبْتُهُ سَتَيْنِ فَمَا كَلَّمَنِي إِلَّا
كَلِمَتَيْنِ»^{٩٦} .

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ إِمَامُ النَّاسِ عِنْدَنَا بَعْدَ عُمَرَ زَيْدُ بْنُ
ثَابِتٍ ، وَكَانَ إِمَامُ النَّاسِ عِنْدَنَا بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^{٩٧} .

^{٩٣} - الفوائد لابن القيم (ص: ١٩١)

^{٩٤} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ١٤٧) صحيح

^{٩٥} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٣٢٠)

^{٩٦} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ١٠٩)

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَبِيعَةَ بْنَ يَزِيدٍ، يَقُولُ: " مَا أَذِنَ الْمُؤَذِّنُ لِبَلَاةِ الظُّهْرِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا أَنْ أَكُونَ مَرِيضًا أَوْ مُسَافِرًا " ٩٨ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ صَدَقَةَ: « وَإِنَّمَا سُمِّيَ الصَّفِيُّ لِلزُّومِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ خَمْسِينَ سَنَةً " ٩٩ .

وَقِيلَ لكَثِيرِ بْنِ عُبَيْدِ الْحَمَصِيِّ عَنْ سَبَبِ عَدَمِ سَهْوِهِ فِي الصَّلَاةِ وَقَدْ أَمَّ أَهْلَ حِمصَ سَتِينَ سَنَةً كَامِلَةً فَقَالَ: مَا دَخَلْتُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ قَطُّ وَفِي نَفْسِي غَيْرُ اللَّهِ. ١٠٠ .

وَلِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ: يَقُولُ النَّاسُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ بِالتَّوَهُّمِ وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِأَحَدٍ مِنَ التَّابِعِينَ عَلَيْهِ مَزِيَّةٌ، وَلَا أَعْرِفُ أَحَدًا يَقْدِرُ قَدْرَهُ، وَلَا يَعْرِفُ مِنَ الْإِسْلَامِ مَحَلَّهُ. قَالَ: وَلَقَدْ صَحِبْتُهُ عَشْرِينَ سَنَةً صَيْفًا وَشِتَاءً وَحَرًّا وَبَرْدًا وَلَيْلًا وَنَهَارًا فَمَا لَقِيتُهُ فِي يَوْمٍ إِلَّا وَهُوَ زَائِدٌ عَلَيْهِ بِالْأَمْسِ. وَلَقَدْ كَانَ يَقْدُمُ أئِمَّةَ الْعُلَمَاءِ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ وَإِمَامَ

٩٧ - المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص: ١٤٩) (١١٦) صحيح

٩٨ - شعب الإيمان (٤/ ٣٧١) (٢٦٦٩)

٩٩ - المعجم الأوسط (٢/ ٩٨)

١٠٠ - موارد الظمآن لدروس الزمان (٢/ ٤٨٠)

كُلِّ مِصْرٍ فَهُمْ بِحَلَالَتِهِمْ مَا دَامَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ خَارِجًا مِنَ الْمَسْجِدِ،
فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، صَارَ غُلَامًا مُتَعَلِّمًا.^{١٠١}

وكان ابن عقيل رحمه الله يقول: إنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من
عمري.

انظر إلى نظراته إلى الوقت، فالقضية عنده ليست قضية فضل، فهو
يرى أن تضييع الوقت حرام، يقول: إنه لا يحل لي أن أضيع ساعة
من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري
عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح على
السري.

يعني: عندما أستريح من عناء المذاكرة وعناء المطالعة وعناء
التدريس والمناظرة، فقبل أن أنام أعمل فكري في مسائل وأنا
مستطرح على الفراش، فلا أنفض من الفراش إلا وقد خطر على
بالي ما أسطره، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في الثمانين
أشد مما كنت أجد وأنا في العشرين.

هذا كلام ابن عقيل؛ ولهذا عمل كتاب الفنون في (٨٠٠)
مجلد.^{١٠٢}

^{١٠١} - غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١/ ٣٠٠)

^{١٠٢} - المشوق إلى القراءة وطلب العلم (ص: ٣٣) وسلسلة علو الهمة - المقدم (١٢/

١٦، بترقيم الشاملة آليا) وكيف تصبح عالما (٧/ ١٧، بترقيم الشاملة آليا)

قال ابن القيم: يَا مَخْنَتِ الْعَزْمِ أَتَيْنَ أَنْتَ وَالطَّرِيقَ طَرِيقَ تَعَبٍ فِيهِ آدَمُ
وَنَاحٍ لِأَجَلِهِ نُوحٌ وَرَمَى فِي النَّارِ الْخَلِيلَ وَأَضْجَعُ لِلذَّبْحِ إِسْمَاعِيلَ
وَبِيعَ يُوسُفَ بِثَمَنٍ بِخَسٍ وَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ وَنَشَرَ
بِالْمِنْشَارِ زَكَرِيَّا وَذَبَحَ السَّيِّدَ الْحَصُورَ يَحْيَى وَقَاسَى الضَّرَّ أَيُّوبَ
وَزَادَ عَلَى الْمَقْدَارِ بَكَاءَ دَاوُدَ وَسَارَ مَعَ الْوَحْشِ عِيسَى وَعَالَجَ الْفَقْرَ
وَأَنَوَّاعَ الْأَذَى مُحَمَّدًا، تَزْهَى أَنْتَ بِاللَّهِوِ وَاللَّعِبِ^{١٠٣}.

٣٢ - قد يقول: الحمد لله أنا من الأخيار، وليس عندي

معاص، وليس كل الناس دعاة!!

ولا أدري مم أعجب هل من تركية هذا الأخ الكريم لنفسه، أم
من جهله بأن التقصير في الدعوة ليس من المعاصي!
قال ابن القيم رحمه الله: «وليس الدين بمجرد ترك المحرمات
الظاهرة بل القيام مع ذلك بالأمور المحبوبة لله. وأكثر المتدينين لا
يعبأون إلا بما شاركهم فيه عموم الناس. وأما الجهاد والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لله ورسوله وعباده ونصرة
الله ورسوله وكتابه ودينه فهذه الواجبات لا تخطر ببالهم، فضلاً
عن أن يريدوها، أو أن يفعلوها. وأقل الناس ديناً وأمقتهم عند الله

^{١٠٣} - اللطائف (ص: ١٨، بترقيم الشاملة آليا) والمداهش (ص: ٢٩١) وفصل الخطاب
في الزهد والرقائق والآداب (٤/ ٦٣، بترقيم الشاملة آليا) والفوائد لابن القيم (ص: ٤٢)

من ترك هذه الواجبات، وإن زهد في الدنيا جميعها، وقلَّ أن يرى فيهم من يحمرُّ وجهه ويتمعر في الله ويغضب لحرماته، ويذل عرضه لنصرة دينه .. وأصحاب الكبائر أحسن حالاً عند الله من هؤلاء. انتهى .. « ١٠٤ .

قال تعالى: { عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَإِنَّمَا يَتِمُّ الْإِهْتِدَاءُ إِذَا أَطِيعَ اللَّهُ وَأُذِيَ الْوَاجِبُ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَغَيْرِهِمَا؛ وَلَكِنَّ فِي الْآيَةِ فَوَائِدَ عَظِيمَةً: " أَلَّا يَخَافَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوهُ إِذَا كَانَ مُهْتَدِيًّا .

" الثاني " أَلَّا يَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَجْزَعَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ مَعَاصِيَهُمْ لَا تَضُرُّهُ إِذَا اهْتَدَى وَالْحُزْنَ عَلَى مَا لَا يَضُرُّ عَبَثٌ وَهَذَانِ الْمَعْنَيَانِ مَذْكُورَانِ فِي قَوْلِهِ: { وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ } [النحل: ١٢٧] .

" الثالث " أَلَّا يَرْكَنَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَمُدَّ عَيْنَهُ إِلَى مَا أُوتُوهُ مِنَ السُّلْطَانِ وَالْمَالِ وَالشَّهَوَاتِ كَقَوْلِهِ: { لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ حَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)

١٠٤ - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٥٨، بترقيم الشاملة آليا) والحب في الله (ص: ٢٦) وموسوعة فقه القلوب (٣/ ٢٧٤٠) وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٤٦)

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ { [الحجر: ٨٨، ٨٩] فَهَاهُ عَنِ الْحُزَنِ عَلَيْهِمُ وَالرَّغْبَةَ فِيمَا عِنْدَهُمْ فِي آيَةٍ وَنَهَاهُ عَنِ الْحُزَنِ عَلَيْهِمُ وَالرَّهْبَةَ مِنْهُمْ فِي آيَةٍ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَتَأَلَّمُ عَلَيْهِمْ وَمِنْهُمْ إِمَّا رَاغِبًا وَإِمَّا رَاهِبًا.

"الرَّابِعُ" أَلَّا يَعْتَدِيَ عَلَى أَهْلِ الْمَعَاصِي بِزِيَادَةٍ عَلَى الْمَشْرُوعِ فِي بَعْضِهِمْ أَوْ ذَمِّهِمْ أَوْ نَهْيِهِمْ أَوْ هَجْرِهِمْ أَوْ عُقُوبَتِهِمْ؛ بَلْ يُقَالُ لِمَنْ اعْتَدَى عَلَيْهِمْ عَلَيْكَ نَفْسِكَ لَا يَضُرُّكَ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتَ كَمَا قَالَ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [المائدة: ٨]. وَقَالَ: { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } [البقرة: ١٩٠] وَقَالَ: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ ابْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } [البقرة: ١٩٣] فَإِنْ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْرِينَ النَّاهِينَ قَدْ يَتَعَدَى حُدُودَ اللَّهِ إِمَّا بِجَهْلٍ وَإِمَّا بِظُلْمٍ وَهَذَا بَابٌ يَجِبُ التَّنَبُّهُ فِيهِ وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ الْإِنْكَارُ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْفَاسِقِينَ وَالْعَاصِينَ.

"الخَامِسُ" أَنْ يَقُومَ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ مِنَ الْعِلْمِ وَالرَّفْقِ وَالصَّبْرِ وَحُسْنِ الْقَصْدِ وَسُلُوكِ السَّبِيلِ الْقَصْدِ فَإِنَّ

ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ: {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} وَفِي قَوْلِهِ: {إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}. فَهَذِهِ خَمْسَةٌ أَوْجُهُ تُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ لِمَنْ هُوَ مَأْمُورٌ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَفِيهَا الْمَعْنَى الْآخَرُ. وَهُوَ إِقْبَالُ الْمَرْءِ عَلَى مَصْلَحَةِ نَفْسِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا وَإِعْرَاضُهُ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ كَمَا قَالَ صَاحِبُ الشَّرِيعَةِ رحمته الله: «إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».^{١٠٥}

وَلَا سِيَّمَا كَثْرَةُ الْفُضُولِ فِيمَا لَيْسَ بِالْمَرْءِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ مِنْ أَمْرِ دِينٍ غَيْرِهِ وَدُنْيَاهُ لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ التَّكَلُّمُ لِحَسَدٍ أَوْ رِئَاسَةٍ. وَكَذَلِكَ الْعَمَلُ فَصَاحِبُهُ إِمَّا مُعْتَدٍ ظَالِمٌ وَإِمَّا سَفِيهٌ غَابِثٌ وَمَا أَكْثَرُ مَا يُصَوِّرُ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ بِصُورَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَكُونُ مِنْ بَابِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ. فَتَأَمَّلْ الْآيَةَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ مِنْ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ لِلْمَرْءِ وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ مَا يَقَعُ مِنَ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عُلَمَائِهَا وَعِبَادِهَا وَأُمَرَائِهَا وَرُؤُسَائِهَا وَجَدْتَ أَكْثَرَهُ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ الَّذِي هُوَ الْبَغْيُ بِتَأْوِيلٍ أَوْ بَعِيرٍ تَأْوِيلٍ^{١٠٦}

^{١٠٥} - صحيح ابن حبان - مخرجا (١/٤٦٦) (٢٢٩) صحيح

^{١٠٦} - مجموع الفتاوى (١٤ / ٤٨٠)

كَمَا بَعَثَ الْجَهْمِيَّةَ عَلَى الْمُسْتَنَّةِ فِي مِحْنَةِ الصُّفَاتِ وَالْقُرْآنِ؛
مِحْنَةِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ وَكَمَا بَعَثَ الرَّافِضَةَ عَلَى الْمُسْتَنَّةِ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةً
وَكَمَا بَعَثَ النَّاصِبَةَ عَلَى عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَكَمَا قَدْ تَبَغَّى الْمُشَبَّهَةُ
عَلَى الْمُنْزَهَةِ وَكَمَا قَدْ يَبْغِي بَعْضُ الْمُسْتَنَّةِ إِمَّا عَلَى بَعْضِهِمْ وَإِمَّا
عَلَى نَوْعٍ مِنَ الْمُتَبَدِّعَةِ بِزِيَادَةٍ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَهُوَ الْإِسْرَافُ
الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِمْ: {وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ (١٤٧)} فَاتَّاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) { [آل عمران: ١٤٧، ١٤٨].
وَبِإِزَاءِ هَذَا الْعُدْوَانِ تَقْصِيرُ آخَرِينَ فِيمَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ الْحَقِّ أَوْ فِيمَا
أُمِرُوا بِهِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ
كُلُّهَا فَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَا أَمَرَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِلَّا اعْتَرَضَ
الشَّيْطَانُ فِيهِ بِأَمْرَيْنِ - لَا يُبَالِي بَأَيِّهِمَا ظَفَرَ - غُلُوٌّ أَوْ تَقْصِيرٌ.
فَالْمُعِينُ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ بِإِزَائِهِ تَارِكُ الْإِعَانَةِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى
وَفَاعِلُ الْمَأْمُورِ بِهِ وَزِيَادَةُ مَنْهِيٍّ عَنْهَا بِإِزَائِهِ تَارِكُ الْمَنْهِيٍّ عَنْهُ
وَبَعْضُ الْمَأْمُورِ بِهِ وَاللَّهُ يَهْدِينَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ. ١٠٧

٣٣ - قد يركز على شريحة من المجتمع وأنها مجال العمل فيفشل في التعاون معها ويصاب بإحباط ويأس، وينسى أن ديننا ليس لمجموعة دون غيرها ولا لطبقة بعينها.

إن أي دعوة تهمل شريحة من المجتمع تعتبر ناقصة ومآلها إلى الانحسار، وقد تميزت الدعوة الإسلامية باحتوائها جميع طبقات المجتمع، وتوظيف جميع طاقات، فليس في المجتمع المسلم عنصرٌ مهملٌ أو مبعّد أو مركون مهما كان.

وإن من كمال الدين وعالميته مخاطبته للجميع وتوظيف جميع أفراد الأمة فلا اعتبار للصور والهيئات والأشكال:

عَنْ مَعْبِدِ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ الْخَزَاعِيَّ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِلْأَبَرَّةِ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتْلٍ، جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ " متفق عليه^{١٠٨}.

^{١٠٨} - صحيح البخاري (١٥٩/٦) (٤٩١٨) (صحيح مسلم (٤/٢١٩٠) ٤٦ - (٢٨٥٣)

[ش (متضعف) بكسر العين متواضع لين هين وروي بفتح العين أي يستضعفه الناس ويحتقرونه. (أقسم) حلف يمينا طمعا في كرم الله تعالى. (لأبره) لحقق له ما أقسم عليه ولأجاب طلبه ودعاه. (جواط) شديد الصوت في الشر متكبر مختال في مشيته]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا، {فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف: ١٠٥] " متفق عليه^{١٠٩}.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ»^{١١٠}

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا

^{١٠٩} - صحيح البخاري (٩٣/٦) (٤٧٢٩) وصحيح مسلم (٤/٢١٤٧) ١٨ - (٢٧٨٥)

[ش (العظيم) الضخم في جسمه ولا إيمان في قلبه]

^{١١٠} - صحيح مسلم (٤/٢٠٢٤) ١٣٨ - (٢٦٢٢)

[ش (أشعث) الأشعث الملبد الشعر المغبر غير مدهون ولا مرجل (مدفوع بالأبواب) أي لا قدر له عند الناس فهم يدفعونه عن أبوابهم ويطردونه عنهم احتقارا له (لو أقسم على الله لأبره) أي لو حلف على وقوع شيء أوقعه الله إكراما له بإجابة سؤاله وصيانيته من الحنث في يمينه وهذا لعظم منزلته عند الله وإن كان حقيرا عند الناس وقيل معنى القسم هنا الدعاء وإبراره إجابته]

رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»^{١١١}.

قال الشاطبي: يقال إِنَّهُ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ - أي فرض الكفاية - عَلَى وَجْهِهِ مِنَ التَّجَوُّزِ؛ لِأَنَّ الْقِيَامَ بِذَلِكَ الْفَرْضِ قِيَامٌ بِمَصْلَحَةٍ عَامَّةٍ؛ فَهُمْ مَطْلُوبُونَ بِسَدِّهَا عَلَى الْجُمْلَةِ؛ فَبَعْضُهُمْ هُوَ قَادِرٌ عَلَيْهَا مُبَاشَرَةً، وَذَلِكَ مَنْ كَانَ أَهْلًا لَهَا، وَالْبَاقُونَ - وَإِنْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا - قَادِرُونَ عَلَى إِقَامَةِ الْقَادِرِينَ، فَمَنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى الْوَلَايَةِ؛ فَهُوَ مَطْلُوبٌ بِإِقَامَتِهَا، وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا؛ مَطْلُوبٌ بِأَمْرِ آخَرَ، وَهُوَ إِقَامَةُ ذَلِكَ الْقَادِرِ وَإِجْبَارُهُ عَلَى الْقِيَامِ بِهَا؛ فَالْقَادِرُ إِذَا مَطْلُوبٌ بِإِقَامَةِ الْفَرْضِ، وَغَيْرُ الْقَادِرِ مَطْلُوبٌ بِتَقْدِيمِ ذَلِكَ الْقَادِرِ؛ إِذْ لَا يَتَوَصَّلُ إِلَى قِيَامِ الْقَادِرِ إِلَّا بِالْإِقَامَةِ مِنْ بَابِ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ، وَبِهَذَا الْوَجْهِ يَرْتَفِعُ مَنَاطُ الْخِلَافِ؛ فَلَا يَبْقَى لِلْمُخَالَفَةِ وَجْهُ ظَاهِرٌ.^{١١٢}

^{١١١} - صحيح البخاري (٨/ ٩٥) (٦٤٤٧)

[ش (أشراف الناس) وجهائهم وأغنيائهم. (حري) جدير ولائق. (لا يشفع) لا يلتفت إليه. وقيل المار الثاني جعيد بن سراقفة الغفاري]

^{١١٢} - الموافقات (١/ ٢٨٣)

٣٤ - رأى كثرة الفساد وانتشاره واستحكام كثير من الشر
فرأى أن الأفضل اعتزال الناس وتركهم.

ما أسهل العزلة عن الخلق وترك التبعة، عَنْ عَامِرٍ، أَنَّ مَعْصِدًا
وَأَصْحَابًا لَهُ خَرَجُوا مِنَ الْكُوفَةِ، وَنَزَلُوا قَرِيبًا يَتَعَبَّدُونَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ
عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَأَتَاهُمْ، فَفَرَحُوا بِمَجِيئِهِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا
حَمَلَكُمْ عَلَى مَا صَنَعْتُمْ؟ قَالُوا: أَحْبَبْنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنْ غَمَارِ النَّاسِ
تَتَعَبَّدُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَوْ أَنَّ النَّاسَ فَعَلُوا مِثْلَ مَا فَعَلْتُمْ، فَمَنْ كَانَ
يُقَاتِلُ الْعَدُوَّ؟ وَمَا أَنَا بِبَارِحٍ حَتَّى تَرْجِعُوا^{١١٣}.

قال ابن الجوزي: وعلى الحقيقة: الزهاد في مقام الخفافيش، قد
دفنوا أنفسهم بالعزلة عن نفع الناس، وهي حالة حسنة إذا لم تمنع
من خير؛ من جماعة، واتباع جنازة، وعيادة مريض. إلا أنها حالة
الجبنة، فأما الشجعان؛ فهم يتعلمون ويعلمون، وهذه مقامات
الأنبياء عليهم السلام.^{١١٤}

حسبوا بأن الدين عزلة راهب واستمرعوا الأوراد والأذكارا
عجباً أراهم يؤمنون ببعضه وأرى القلوب يبعضه كفارا
والدين كان ولا يزال فرائضاً ونوافلاً لله واستغفارا

^{١١٣} - الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ٣٩٠) (١١٠٤) والآحاد

والثاني لابن أبي عاصم (٣/ ٨١) (١٣٩٧)

^{١١٤} - صيد الخاطر (ص: ٢٣٧)

والدين ميدان و صمصام وفر سان تبید الشر والأشرارا
والدين حكم باسم ربك قائم بالعدل لا جوراً ولا استهتارا
وفي سنن أبي داود عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «جَاهِدُوا
الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّنِّتِكُمْ»^{١١٥}
وفي سنن النسائي عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «جَاهِدُوا
الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَالسِّنِّتِكُمْ»^{١١٦}

٣٥- حب الدنيا وكرهية الموت :

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا

^{١١٥} - سنن أبي داود (١٠ / ٣) (٢٥٠٤) صحيح

^{١١٦} - السنن الكبرى للنسائي (٤ / ٢٦٩) (٤٢٨٩) صحيح

انظر: أَعْدَارُ الْمُتَقَاعِسِينَ أَوْ الْقَاعِدِينَ:

http://www.alfeqh.com/montda/topic/

١B%٨D%٧A%٨D%٠B%٨D%٩B%٨D%٧A%٨%D

٧A%٨D%٨٢%٩AA%D%٨D%٨٥%٩D%٨٤%٩D%٧A%٨%D

/٨٦%٩A%D%٨%٩D%٣B%٨D%٩B%٨%D%

١٦٤١٢http://vb.albashiri.net/showthread.php?t=

حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [التوبة: ٢٤]

في هذه الآية وضع للمسلمين في مواجهة التجربة والاختبار لإيمانهم، واختيار ما يحبون وما يؤثرون.. فالإيمان في جانب.. والآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والديار.. في جانب آخر.. وعلى المؤمن أن يختار بين الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله، وبين أهله، وماله ودياره.

والاختيار هنا يمكن أن يجزّ به الإنسان بينه وبين نفسه، حين يورد على مشاعره هذين الطرفين المتنازعين في كيانه، وأن يستعرضهما واحدا بعد الآخر، وأن يفترض أنه إذا لم يكن من الممكن الجمع بينهما، فأيهما يؤثر أن يمسك به، ويعيش معه؟

فإذا أثر الإيمان على الولد والأهل والمال والموطن، كان على الصفة التي يتحقق بها الإيمان الذي يقبله الله منه، ويرضاه له.. وإن كان العكس، وأثر الولد والأهل والمال والموطن، على الإيمان بالله ورسوله والولاء للمؤمنين، والجهاد في سبيل الله، فهو أقرب إلى الجبهة المعادية للإسلام، منه إلى الجبهة الموالية له.. «والمرء مع من أحب» .

وفي وصف الأموال، بأنها أموال مقترفة إشارة إلى أن المال غاد ورائح.. وأنه أشبه بالمنكر، إذ كان أكثر ما يجيء المال من حصيلة الصراع بين الناس والناس.

وفي قوله تعالى: «وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا» إشارة إلى ما قد يصيب السوق التجارية من كساد، حين تقوم القطيعة بين المؤمنين والمشرّكين.

وفي قوله تعالى: «فتربصوا» تهديد ووعد لأولئك الذين يؤثرون علاقاتهم الدنيوية، على الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله.. والتربص:

الانتظار.. ووراء هذا الانتظار ما يسوء أولئك الذين آثروا الآجلة على العاجلة حين يرون نصر الله للمؤمنين، وما فتح الله عليهم به من مغام في الدنيا، ورضوان في الآخرة، وجنّات لهم فيها نعيم مقيم.

ويلاحظ أن قوله تعالى: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ.. الآية» قد انتظم كل ما تتعلق به النفوس، وتحرص عليه.. وليس وراءه من أمور الدنيا ما يطلبه الإنسان، ويعلق به..

كما يلاحظ أيضا أن هذه الأمور قد جاءت في النظم القرآني مرتبة الدرجات.. الأهم، فالمهم، فما هو دونه.. وهذا ما يجعل المؤمن

أمام تجربة ذات شعب، وأنه قد يؤثر إيمانه على بعضها دون بعض، أو يؤثرها جميعا عليه، أو يؤثر إيمانه عليها جميعا.. كما أن هذه التجربة تنتظم المسلمين جميعا، لا يكاد أحد منهم يفلت من الدخول فيها، فمن لم يكن له أب كان له ولد.. ومن لم يكن له ولد، ولا والد، كان له زوج.. ومن لم يكن له واحد من هؤلاء كان له مال، ومن لم يكن له مال، ولا تجارة يخشى كسادها، كان له موطن يحنّ إليه، ودار يرنو ببصره إليها..

وهكذا، في كلمات معدودة، تتحرك مشاعر المجتمع الإسلامي، وتتقلب القلوب، ويدور الصراع في كيان كل مسلم، ثم تنجلي المعركة بعد صراع طويل أو قصير، عن سلام وعافية، أو شكّ وتردد.. ثم يجيء قوله تعالى: «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» تعقيبا على هذا الصراع، ممسكا بهؤلاء الشاكّين المترددين، لينتزعوا أنفسهم مما هم فيه من شك وتردد، فإمّا إلى اليمين، وإمّا إلى اليسار.. والله سبحانه وتعالى في هؤلاء المترددين الشاكّين، الذين ظلموا أنفسهم بهذا الموقف الذي وقفوه - لله فيهم أعداء لم يرد الله أن يهديهم، وأن يمضي لهم طريقهم إلى آخره مع الإيمان.. فليحذر كلّ من هؤلاء أن يكون فيمن خذلهم الله وجعلهم من أعدائه..

«وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» الذين دخلوا في دين الله، ثم مال بهم الطريق إلى ما لا يرضى الله! ^{١١٧}

إن هذه العقيدة لا تحتل لها في القلب شريكا فإما تجرد لها، وإما انسلاخ منها. وليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل والمتاع واللذة ولا أن يترهبين ويزهد في طيبات الحياة .. كلا إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب، ويخلص لها الحب، وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة، وهي المحركة والدافعة. فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة، على أن يكون مستعدا لنبذها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة.

ومفروق الطريق هو أن تسيطر العقيدة أو يسيطر المتاع وأن تكون الكلمة الأولى للعقيدة أو لعرض من أعراض هذه الأرض. فإذا اطمأن المسلم إلى أن قلبه خالص لعقيدته فلا عليه بعد هذا أن يستمتع بالأبناء والإخوة والزوج والعشيرة ولا عليه أن يتخذ الأموال والمتاجر والمساكن ولا عليه أن يستمتع بزيينة الله والطيبات من الرزق - في غير سرف ولا مخيلة - بل إن المتاع بها حينئذ

^{١١٧} - التفسير القرآني للقرآن (٥/٧٢٣)

لمستحب، باعتباره لونا من ألوان الشكر لله الذي أنعم بها ليتمتع بها عباده، وهم يذكرون أنه الرازق المنعم الوهاب.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ - إِنَّ اسْتَحْبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ -» ..

وهكذا تنقطع أواصر الدم والنسب، إذا انقطعت آصرة القلب والعقيدة. وتبطل ولاية القرابة في الأسرة إذا بطلت ولاية القرابة في الله. فله الولاية الأولى، وفيها ترتبط البشرية جميعا، فإذا لم تكن فلا ولاية بعد ذلك، والحبل مقطوع والعروة منقوضة.

«وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» .. و «الظَّالِمُونَ» هنا تعني المشركين. فولاية الأهل والقوم - إن استحبوا الكفر على الإيمان - شرك لا يتفق مع الإيمان.

ولا يكتفي السياق بتقرير المبدأ، بل يأخذ في استعراض ألوان الوشائج والمطامع واللذائذ ليضعها كلها في كفة ويضع العقيدة ومقتضياتها في الكفة الأخرى: الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة (وشيجة الدم والنسب والقرابة والزواج) والأموال والتجارة (مطعم الفطرة ورغبتها) والمساكن المريحة (متاع الحياة ولذتها) .. وفي الكفة الأخرى: حب الله ورسوله وحب الجهاد في سبيله. الجهاد بكل مقتضياته وبكل مشقاته. الجهاد وما يتبعه من

تعب ونصب، وما يتبعه من تضيق وحرمان، وما يتبعه من ألم وتضحية، وما يتبعه من جراح واستشهاد .. وهو - بعد هذا كله - «الجهاد في سبيل الله» مجردا من الصيت والذكر والظهور. مجردا من المباهاة، والفخر والخيلاء. مجردا من إحساس أهل الأرض به وإشارتهم إليه وإشادتهم بصاحبه. وإلا فلا أجر عليه ولا ثواب

..

«قُلْ: إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا، وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا، أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ .. فَتَرْبُّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ...»

ألا إنها لشاقة. ألا إنها لكبيرة. ولكنها هي ذاك .. وإلا: «فَتَرْبُّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ».

وإلا فتعرضوا لمصير الفاسقين: «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» .. وهذا التجرد لا يطالب به الفرد وحده، إنما تطالب به الجماعة المسلمة، والدولة المسلمة. فما يجوز أن يكون هناك اعتبار لعلاقة أو مصلحة يرتفع على مقتضيات العقيدة في الله ومقتضيات الجهاد في سبيل الله.

وما يكلف الله الفئة المؤمنة هذا التكليف، إلا وهو يعلم أن فطرتها تطيقه - فالله لا يكلف نفسا إلا وسعها - وإنه لمن رحمة الله بعباده أن أودع فطرتهم هذه الطاقة العالية من التجرد والاحتمال وأودع فيها الشعور بلذة علوية لذلك التجرد لا تعدلها لذائذ الأرض كلها .. لذة الشعور بالاتصال بالله، ولذة الرجاء في رضوان الله، ولذة الاستعلاء على الضعف والهبوط، والخلاص من ثقله اللحم والدم، والارتفاع إلى الأفق المشرق الوضيء. فإذا غلبتها ثقله الأرض ففي التطلع إلى الأفق ما يجدد الرغبة الطامعة في الخلاص والفكاك.^{١١٨}

وَعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كُثُوءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^{١١٩}

^{١١٨} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص:

(٢١٩١)

^{١١٩} - سنن أبي داود (٤ / ١١١) (٤٢٩٧) صحيح

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لثَوْبَانَ :
 كَيْفَ أَنْتَ يَا ثَوْبَانُ ، إِذْ تَدَاعَتْ عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ كَتَدَاعِيكُمْ عَلَى
 قِصْعَةِ الطَّعَامِ تُصِيبُونَ مِنْهُ ؟ قَالَ ثَوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
 أَمِنْ قَلَّةِ بَنَانَا ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ أَنْتُمْ يَوْمٌ كَثِيرٌ ، وَلَكِنْ يُلْقَى فِي
 قُلُوبِكُمُ الْوَهْنُ قَالُوا : وَمَا الْوَهْنُ ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : حُبُّكُمْ
 الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَتُكُمْ الْقِتَالَ. ١٢٠

قَالَ : " حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهَةُ الْمَوْتِ " وَهُمَا مُتَلَازِمَانِ فَكَأَنَّهُمَا
 شَيْءٌ وَاحِدٌ ، يَدْعُوهُمُ إِلَى إِعْطَاءِ الدِّيَّةِ فِي الدِّينِ مِنَ الْعَدُوِّ الْمُبِينِ ،
 وَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَقَدْ ابْتَلَيْنَا بِذَلِكَ ، فَكَأَنَّمَا نَحْنُ الْمَيِّتُونَ بِمَا ذُكِرَ
 هُنَالِكَ. ١٢١

والقرآن يدرج تداعي الأمم الغازية وما يرافق زحفها من إعلان
 لوفاة الأمة الميتة تحت اسم "الصيحة" التي تنتهي بالأمة الميتة إلى -
 نفس النهاية- نهاية الغناء: {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ
 غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [المؤمنون: ٤١] .

١٢٠ - مسند أحمد (عالم الكتب) (٣/ ٣٤٥) (٨٧١٣) ٨٦٩٨ - صحيح لغيره

١٢١ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٣٦٦)

و"الحق" الذي جرت الصيحة طبقا له هو إشارة إلى السنن، والأقدار التي تحدد مسارات الأمم ومصائرهما. و"الغناء" في اللغة معناه القذى والوسخ والقش.

وفي الحديث هنا يشير إلى نفايات البشرية من بقايا الأمة الميتة التي تنسحب من تيار الحياة البشرية لتتكلس على ضفافه. و"نزع المهابة" من صدور الأعداء، و"قذف الوهن" في قلوب المستضعفين الأذلاء نتائج عمل سنن الله، وقوانينه في الاجتماع البشري تعبر عنها الآية المشار إليها بصيغة: {فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} أي إبعادا لأنظمة الظلم وإداراته، ومؤسساته وقادته ورعاياه وجيوشه، وبوليسه وأجهزة مخابراته وجميع ممارساته. فالأمة التي تحب أن تقول للظالم: يا ظالم ولا تصلح آثار الظلم يبعث الله عليها: {الصَّيْحَةُ} أو هدير الغزاة وآلاتهم الحربية ليقوموا بما وهنت الأمة عن القيام به. إنها عمليات جراحية إلهية تستهدف فك "الأغلال" السياسية و"الآصار" الاجتماعية والثقافية التي مكنت للظلم، وسمحت للظالمين بإحكام قبضتهم إحكاما لا فكاك منه. والتاريخ مليء بأشكال "الصيحة" التي تتالت صيحة بعد صيحة كلما

أحكم الظلم قبضته، وجنبت الأمة عن تحطيم قيود الظالمين وثقافة
الظلم.^{١٢٢}



^{١٢٢} - أهداف التربية الإسلامية (ص: ٤٣٣)

الفهرس العام

المبحث الأول.....	٤
بيان أن الموت والرزق بيد الله تعالى وحده.....	٤
المبحث الثاني.....	٢٣
أهم شبهات المتقاعسين والرد عليها.....	٢٣
١ - التعلُّ بكبر السن:.....	٢٣
٢ - البعضُ يتشغلُ في طلب الرزق.....	٢٦
٣ - الانشغال بالوظيفة:.....	٢٩
٤ - يقول البعض بأنه فاتته القطارُ، وتجددت الوسائلُ وتغير الزمانُ، وأصبح لا يحسن العملَ في هذه الظروف!.....	٣١
٥ - إفساح المجال للآخرين:.....	٣١
٦ - التعذر بعدم البرامج والخُطط، وإلقاء اللوم على العلماء والمشايخ في ذلك وينتظر منهم كل شيء.....	٣٣
٧ - الانشغال بنقد الآخرين.....	٣٤
٨ - إبرازُ الشخصياتِ المتقاعسةِ وتعليلُ النفسِ بهم، وأنه ليس الوحيدُ في هذا المجال.....	٣٦
٩ - الحساسيةُ المرفهةُ من النقدِ أو اللوم.....	٣٧
١٠ - قد يتساقط أناسٌ بسبب أنه لا يذكرُ عملُهم أو ينوهُ به أو يحمدون عليه.....	٣٨

- ١١ - تفريغ الطاقة في التناجي ٣٩
- ١٢ - التنقل في الأعمال الخيرية على هيئة المذواق ٤٢
- ١٣ - التنقل بين الشيوخ أو الجماعات أو الأفكار ٤٤
- ١٤ - الخوف والهلع من المخلوقين ٤٤
- ١٥ - ضعف الصلة بالله تعالى: ٤٧
- ١٦ - الزواج وكثيراً ما يقع لمن تأخر عن الزواج أو من يعدد
بعد زوجة تؤذيه، فينشغل بلذة الشهوة عن الدعوة. ٤٩
- ١٧ - عدم التوازن في جوانب العبادة وإعطاء كل ذي حق حقه
..... ٥٠
- ١٨ - دخوله في عمل لا يتلاءم مع شخصيته وتكوينه وطاقاته
وقدراته، فيفشل فيصاب بإحباط فيدع العمل، ولا يحاول التغيير.
..... ٥١
- ١٩ - يريد عملاً يتوافق مع خواطره وتخيلاته ٥٢
- ٢٠ - استعجال الثمرة واستبطاء الطريق: ٥٣
- ٢١ - الانفصال عن الأخيار العاملين: ٥٤
- ٢٢ - التفكير العقيم بأن مجالات الدعوة محدودة برقم محدد وقد
أغلقت كلها، ٥٧
- ٢٣ - التنقل بين البلدان والاصطدام بواقع لا يعرفه: ٥٩
- ٢٤ - يقع في معصية فيستثمرها الشيطان ويرابي بها ٦٢
- ٢٥ - المنافسة بين الأقران: ٦٣
- ٢٦ - حب الرياسة والعلو: ٦٣

- ٢٧ - التفرغ لعمل علمي، أو بناء بيت أو غير ذلك لبضع سنوات..... ٦٤
- ٢٨ - ترك العمل بسبب ظروف طارئة، وأحوال عصبية، ينتظر تجليتها، ويرقب الفرج، ويأمل كشف الغربة..... ٦٦
- ٢٩ - خشى على وظيفته أو جاهه ومركزه..... ٦٩
- ٣٠ - تمكن الشيطان من إلقاء الشبهات في قلبه وبخاصة في وقت الفتن..... ٦٩
- ٣١ - كابد وجاهد نفسه فتعب ومل وترك العمل:..... ٧١
- ٣٢ - قد يقول: الحمد لله أنا من الأخيار، وليس عندي معاص، وليس كل الناس دعاة!!..... ٧٥
- ٣٣ - قد يركز على شريحة من المجتمع وأما مجال العمل فيفشل في التعاون معها ويصاب بإحباط ويأس، وينسى أن ديننا ليس لمجموعة دون غيرها ولا لطبقة بعينها..... ٨٠
- ٣٤ - رأى كثرة الفساد وانتشاره واستحكام كثير من الشر فرأى أن الأفضل اعتزال الناس وتركهم..... ٨٣
- ٣٥ - حب الدنيا وكرهية الموت :..... ٨٤